الطبعة الأولى
١٤٤٧-٢٠٢٥

بستان الخطيب

الجزء الثاني عشر

د. أمين بن محمد المدري

دار الكتب اليمنية
مكتبة خالد بن الوليد KHALED LIBRARY

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

الحقوق محفوظة لكل مسلم

«الطبعة الأولى»

«١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥م»

دار الكتب اليمنية

مكتبة خالد بن الوليد
KHALED LIBRARY

المحتويات

المحتويات ٣
المقدمة ٥
البلاء موكل بالمنطق ٧
محبطات الاعمال (١) ١٨
محبطات الأعمال(٢) ٢٨
محبطات الأعمال (٣) ٣٦
فتنة التكفير ٥٠
الأب وفضله ٥٩
الأم القلب الحنون (١) ٦٩
الأم القلب الحنون (٢) ٧٨
عشر ذي الحجة فُرص لا تعوّض ٨٨
اسق حديقة فلان ١٠٠
انتبه إنه رمضان ١١١

أعمال ثوابها كقيام الليل ١١٩

أعمال ثوابها يعدل الحج ١٢٦

المال العام وخطورته ١٣٢

الدين وخطورة المماطلة فيه ١٤٠

الزلازل آيةٌ وعبرة ١٤٩

أذكار الصباح والمساء (١) ١٥٦

أذكار الصباح والمساء (٢) ١٦٤

أذكار الصباح والمساء (٣) ١٧١

عيد الأضحى ١٧٩

ختاماً ١٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين وإمام الدعاة، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الخطبة المنبرية ليست مجرد كلمات تُلقى، أو مواعظ تُسرد، بل هي نبض الأمة، وروح المجتمع، ومنارة الهدى التي تستنير بها القلوب وتستقيم بها الدروب. إنها الفن الرفيع الذي يجمع بين بلاغة البيان وعمق المعنى، بين إشراقة الروح وقوة التأثير. ومن هذا المنطلق، جاءت سلسلة "بستان الخطيب" لتكون عونًا وسندًا لكل خطيب يسعى لإصلاح مجتمعه، وتنوير أفراده، وترسيخ قيم الحق والفضيلة في نفوسهم.

ها نحن نقدم الجزء الثاني عشر من هذه السلسلة المباركة، والتي أسأل الله أن تكون قد حققت الغاية المرجوة منها في الأجزاء السابقة، وأن تكون قد أسهمت في إثراء المحتوى الدعوي، وتقديم زاد علمي وعملي للخطباء الأفاضل.

إن الوصول إلى هذا الجزء ليس إلا بفضل الله وتوفيقه، ثم بجهد متواصل وعمل دؤوب، مستلهمًا من توجيهات ديننا الحنيف، ومستفيدًا من تجارب السابقين واللاحقين في فن الخطابة.

إن دور الخطيب في إصلاح المجتمع لا يقتصر على إلقاء الخطب فحسب، بل يتعداه إلى كونه قدوة حسنة، ومربيًا فاضلاً، وموجهًا أمينًا. فالخطبة الفعالة هي تلك التي لا تلامس العقول فحسب، بل تخاطب القلوب، وتحرك النفوس، وتدفع إلى العمل الصالح. وهذا الكتاب، كأجزائه السابقة، يقدم للخطيب خلاصة تجارب ومواعظ يمكنه الاستفادة منها في تحضير خطبه، مع التأكيد على أهمية أن يضيف الخطيب بصماته الخاصة، وأن يمزج بين ما يقدمه الكتاب وبين رؤيته وفهمه الخاص، ليجعل من كل خطبة تجربة فريدة ومؤثرة.

إننا نؤمن بأن الخطبة الواحدة يمكن أن تكون منبعًا لعدة خطب، وأن الفكرة الواحدة يمكن أن تتشعب لتشمل جوانب متعددة من الحياة، إذا ما أُحسن تناولها وعرضها. وهذا ما نسعى إليه في هذه السلسلة، أن نقدم للخطيب مادة غنية ومتنوعة، تمكنه من بناء خطب قوية ومؤثرة، تتناسب مع احتياجات مجتمعه وتحدياته.

وأؤكد في هذا المقام على أهمية اجتهاد الخطيب في التحضير والتأمل والإبداع، فالكلمة إذا خرجت من القلب بلغت القلوب، وإذا خرجت من الورق لم تتجاوز الآذان. فكم من موعظة مؤثرة أحيت قلوبًا، وكم من خطبة وفّق الخطيب في عرضها فأحدثت تغييرًا مباركًا في الناس.

، ولأن الكمال لله وحده، فإنني أرجو من كلّ قارئ كريم، أو خطيب فاضل أن لا ينسى المؤلف من دعوة صادقة بظهر الغيب، وأن لا يبخل عليه بأي نصيحة، أو ملاحظة تُسهم في تطوير هذا المشروع الدعوي المبارك، **وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.**

البلاء موكل بالمنطق

الحمد لله المبدئ المعيد ذو العرش المجيد الفعال لما يريد؛ له ما في السماوات وما في الارض، وهو الغني الحميد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يفنى الزمان، ويزول المكان، ويموت الخلق، وهو حي لا يموت، ودائم لا يزول ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرَّحمن: ٢٦ - ٢٧]. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة.. تركنا على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللهَ- عِبَادَ اللهِ- حقَّ التَّقْوَى؛ وراقبوه وفي السر والعلن

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[سورة آل عمران: ١٠٢]

أيها المؤمنون: لقد أكرم الله الإنسان بنعم عظيمة، وآلاء عميمة، ومن هذه النعم الجليلة، هذا اللسان الذي يحرِّك به الحروفَ، والشفتين اللاتي يُتقن بهما مخارجَها، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾[الْبَلَدِ: ٨-٩].

إنها الكلمات التي بها يختار المرء مصيره؛ إما إلى جنة، وإما إلى نار، كيف لا والمصطفي -ﷺ- هو من قال: **"وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟"** (رواه أحمد، والترمذي).

انها الكلمات التي منها نور، ومنها قبور.

كلمات تُرفع بها إلى أعلى عليين وكلمات تنزل بها إلى أسفل سافلين.

لا تقول لي فلان يصلي ويصوم ويتصدق ويقوم وعنده علم العلوم!!!!!

قل لي كيف لسانه في الخلق.

كيف لسانه على من يخالفه في الفكر والرأي؛ فالمسلم عرّفه النبي ﷺ وقال: ((المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجَر ما نهى الله عنه))؛ [متفق عليه].

لا تحدثني كثيرا عن الدين، بل دعني أرى الدين بأفعالك.

لا تحدثني كثيرا عن القرآن وما في القرآن، بل دعني أرى أخلاق القران في افعالك.

، ومن الامثال السائرة والمتواترة عن الصالحين ووَرَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِي وحُذَيْفَة رضي الله عنهما (أَنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ) وفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ (أَنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ)

يعني ما تكلمت به وما توقعته يأتيك، وما نطقت به تشاؤما يقع عليك، وقد يكون فيه هلاكك، أو يوافق ساعةَ استجابة كما جاء في الحديث: ((لا تدعوا على أنفسِكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا تُوافقوا من اللهِ تعالى ساعةَ نَيلٍ فيها عطاءٌ، فيستجيبَ لكم))؛ [رواه أبو داود بإسناد صحيح].

البلاء موكل بالمنطق يعني أن نطقت خيرا، وتفاءلت خيرا يأتيك، وان نطقت شرا وتشاءمت يأتيك.

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى *** إن البلاء موكَّل بالمنطقِ

هـذا يعقـوب عليه السلام لمـا قـال لبنيـه في يوسـف: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[يوسف: ١٣]، جاؤوا إليه عِشاءً وقالوا: أكله الذئب، فابُتليَ بما قال.

ولَّما قال لهم في أخيهم بنيامين عند سفرهم إلى مصر: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾[يوسف: ٦٦]، أُحيط بهم وغُلبوا عليه، ورجعوا إليه من غيره، لكنه عندما تفاءل وأحسن الظن بالله وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾[يوسف: ٨٣] ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤] وأتى الله له بيوسف وبنيامين.

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى ♦♦♦ إن البلاء موكَّل بالمنطقِ

ويوسف عليه السلام لما قال في محنة امرأة العزيز: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[يوسف: ٣٣]، سُجِن ولبِث في حبسه بضع سنين.

وأورد القرطبي في تفسيره لما قال يوسف: السجن أحب إلي ـ أوحى الله إليه: "يا يوسف! أنت حبست نفسك، حيث قلت السجن أحب إلي، ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت". انتهى.

وفي صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ دخل على رجلٍ يعُودُه، فقال: ((لا بأس، طَهورٌ إن شاء الله))، فقال: "كلا، بل حُمَّى تفور، على شيخٍ كبيرٍ، كيما تُزِيرَه القبورَ"، قال النبي ﷺ: ((فنعم إذًا)).

وعند الطبراني وغيره، فقال ﷺ: ((أمَّا إذا أبيتَ، فهي كما تقول، وقضاءُ الله كائن))، فأصبح الأعرابي ميتًا.

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى *** إن البلاء موكَّل بالمنطقِ

وَمِمَّا يُؤَكِدُ الأَمْرَ (أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقالَ: كُلْ بيَمِينِكَ، قالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قالَ: لا اسْتَطَعْتَ، ما مَنَعَهُ إلَّا الكِبْرُ، قالَ: فَما رَفَعَهَا إلى فِيهِ. يعني شلت يمينه[رَوَاهُ مُسْلِمٌ]، هُنَاكَ مِنَ الطُّلَّابِ مَنْ يتشاءم فَيَقُولُ قَبْلُ الدُّخُولِ فِي الاخْتِبَارِ: هَذِهِ المَادَّةُ لَا أَسْتَطِيعُ تَجَاوُزُهَا، أَوْ لَنْ أَنْجَح فِيهَا، فَيَكُون كَمَا قَالَ.

وهُنَاكَ مَنْ إِذَا تَقَدَّمَ لِوَظِيفَةٍ أَوْ عَمَلٍ يَقُولُ: لَنْ أُقْبَلَ، أَوْ لَنْ اجْتَازَ الْمُقَابَلَةَ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ.

وهُنَاكَ مِنَ الشَّبَابِ مَنْ يَتَقَدَّمُ لِلْزَواجِ ويَقُول:(لَنْ يَقْبَلُوا بِيْ زَوْجًا) فَيَقَعُ كَمَا قال.

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى *** إن البلاء موكَّل بالمنطقِ

أين التفاؤل أين حسن الظن بالله!!!!

اذا رأيت من حولك يتشاءمون فيقولون: لن يصلح حال البلاد وضاعت البركة في البلاد والعباد والمال وهذه البلاد ما فيها خير.

فهذا هو الكائن، ولو رأيتهم يتفاءلون وينطقون بالخير وأن الله سيصلح الأحوال ويبارك في المال والعيال ويؤلف بين القلوب وينصر أولياءه فابشر بخير.

وكَانَ النبي ﷺ يحِبُهُ الْفَأْلُ.

وصدق من قال:

لا تنطقنَّ بما كرهتَ فربما *** نطَق اللسانُ بحادثٍ فيكونُ

وقال قيس في ليلى:

فلو كنتُ أعمى أخبِط الأرضَ بالعصا *** أصمَّ فنادتني أجبتُ المناديا

يا الله!!فعمي وصَمَّ، وذهب بصره وسمعه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن إبراهيم النخَعي أنه قال: "إني لأجد نفسي تُحدِّثني بالشيء، فما يمنعني أن أتكلَّمَ به إلا مخافةَ أن أُبتلى به".

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى *** إن البلاء موكَّل بالمنطقِ

كَذَلِكَ يحذر الْإِنْسَان مِنْ أَنْ يَسْخَرَ بأخيه المسلم حتى لو كان عاصيا والسخرية من الكبائر ومن للسخرية الشماتة كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ - الَّذِي لَا يَقِلُّ عَنْ دَرَجَةِ الحَسَنِ - (لا تُظهِرِ الشَّماتةَ لأخيك فيرحَمْه اللهُ ويبتليك ".

وروي أنه: اجتمع الكسائي أحد القراء السبعة واليزيدي عند الرشيد فحضرت صلاة المغرب، فقدَّموا الكسائي، فارتجَّ عليه في قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، فقال اليزيدي: قراءةُ هذه السورة يُرتجُّ فيها على قارئ أهل الكوفة! قال: فحضرت صلاة العشاء فقدَّموا اليزيدي فارتج عليه في الحمد (أي: الفاتحة)، فلما سلَّم قال:

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى إن البلاء موكَّل بالمنطقِ

احذروا الشماتة اليوم هناك من يشمت بالموت، يسمع أن فلان مات فيفرح ويشمت لأنه خصمه أو يختلف معه في شيء، وكأنه لن يموت. تبا لهم ما هذه بأخلاق الاسلام ولا أخلاق المؤمنين.

أين حُرمة الموت وقدسية الموت الرسول ﷺ لما مرت جنازة يهودي؛ قام فقال: (أليست نفساً) وفي رواية: (إنّ للموت لفَزعاً).

بل وصلت الجرأة أنهم يحرمون الرحمة عليه بألسنةٍ حداد وسب ولعن؛ لأنه يخالفهم في الفكر والرأي.

وهذا لا يجوز في حق المسلم فكيف إذا كان داعية الى الله فكيف إذا كان رمز من رموز اليمن والامة وعالما دخل على يديه المئات من النصارى في الاسلام ووصل خيره وعلمه الى أرجاء المعمورة ورائد الاعجاز في هذا العصر

لعَمْرُكَ ما الرزّية فقدُ مال * ولا فرسٌ تـمُوتُ ولا بعـيرُ

ولكّنَّ الرزيّـَةَ فـقـدُ حـــر * يـمُوتُ بـمَوته خَلْقٌ كثيرُ

وروي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: "**لحوم العلماء مسمومة؛ من شمها مرض، ومن أكلها مات.**

ويقول الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى:... **ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب**"

تتكرر ظاهرة سيئة؛ كلما يموت أحد الرموز أو المصلحين، أو القادة المشهورين. في اليمن أو الأمة تظهر أقلام الانتقاص خلف جنائزهم! وتنتشر منشورات الخصوم بنبش الأخطاء الاتهامات.. دون مراعاة لحرمة الدين والموت.

هناك من يعتقد الوكالة عن الله فيدخل من شاء في رحمته ومن شاء في عذابه، ونسوا أن الله أحبط عمل إنسان صالح لأنه تآلي على الله وقال: والله لا يغفر الله لفلان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: عباد الله:

ومما نهينا عنه التعيير فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من عيّر اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله)** [أخرجه الترمذي (٢٥٠٥) وحسّنه وسنده منقطع] كأنه حسنه الترمذي لشواهده فلا يضر انقطاعه.

وَلَمَّا أَفْلَسَ ابنُ سِيْرِيْن – رَحِمَنَا اللهُ وإِيَّاهُ – قَالَ (**إِنِّي لَأَعْرِفُ الذَّنْبَ الَّذِي حُمِلَ عَلَيَّ بِهِ الدَّيْنُ مَا هُوَ، قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً: يَا مُفْلِس**.[صيد الخاطر" (ص ١٠٤)].

قال الإمام مالك رحمه الله: (**أدركت أقواما لم تكن لهم عيوب، *فعابوا الناس فصارت لهم عيوب*، وأدركت أقواما كانت لهم عيوب، *فسكتوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم**)["التمهيد" (ج٢١، ص ٢٨٦)].

ولما نزل الحسينُ وأصحابُه بكربلاء، سأل عن اسمها فقيل: كربلاء، فقال: "**كربٌ وبلاء**".[ذكره **الذهبي** في "سير أعلام النبلاء" و**ابن كثير** في "البداية والنهاية]." فكانت كرب وبلاء عليه وعلى أهله وعلى الأمة.

ولما وقفت حليمةُ السعدية على عبد المطلب تسأله رَضاعَ رسول الله ﷺ، قال لها: "من أنت؟"، قالت: "امرأة من بني سعد"، قال: "فما اسمك؟"، قالت: "حليمة"، فقال: "بخٍ بخٍ؛ سعدٌ وحِلْمٌ؛ هاتان خُلَّتان فيهما غَناء الدهر". [تحفة المودود بأحكام المولود؛ لابن القيم (ص: ١٢٤)].

انظروا الى التفاؤل!

وروى وقَالَ ابْنُ كَثِيْر -رحمه الله-: في قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾[القصص: ٩] فَقَالَ لَهَا فِرْعَوْن؛ (أَمَّا لَكَ فَنِعْمَ، وأَمَّا لِيْ فَلَا، أَيْ: لَا حَاجَةَ لِيْ بِهِ، والبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ) انْتَهَى كَلَامهُ، فَكَانَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهَا، وعَذَاب عَلَيْهِ.

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى ♦♦♦ إن البلاء موكَّل بالمنطق

ومن أمثال العرب: «رُبَّ كلمةٍ تقول لصاحبها دعني» وهو مثل يقال فيمن لا يَزِنُ كلامَه، فيجني عليه. وأصل المثل أن ملِكاً صعد صخرة ملساء، فقال رجل: يا تُرَى لو ذُبِحَ إنسان عليها فمن أي جهة يسيل دمه؟ فقال الملك لجنده: اذبحوه عليها وانظروا أين يسيل دمه، فذبحوه، ثم قال الملك مقولته تلك: رُبَّ كلمةٍ تقول لصاحبها دعني.

ورُوي أن رجلًا من النصارى - وكان بالمدينة - إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: "حُرِق الكاذب"، فسقطت في بيته شرارةٌ من نار وهو نائم، فتعلَّقت النارُ بالبيت فأحرقته، وأحرقت ذلك الكافرَ معه؛ فكانت عبرة للخلق، "

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى ♦♦♦ إن البلاء موكَّل بالمنطق

وضاق أحدهم من الحياة ومتاعبها فقال:

فيا موتُ زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ ♦♦♦ ويا نفسُ جِدِّي إن دهرَك هازلُ

فمات في اليوم التالي.

وها هو ممثل المصري قال يومًا قبل أن يشتهر -: **"كم أتمنى أن يكونَ معي مليون جنيه! وإن أُصبت بأي مرض"**، فقيل له: "وماذا يفيدك المال وأنت حينها تكون مريضًا؟"، فأجاب: "سأنفق بعضَ هذا المال على المرض، ثم أتمتع بباقي المال".

تقول زوجته في مذكراتها: (فترقى في سُلّم الشهرة والتمثيل حتى وصل إلى المليون جنيه وأكثر؛ ولكن الله ابتلاه بمرض السرطان في الكبد، فأنفق كل ماله، ولم يذهب المرض؛ بل بقي في تعاسة).

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى ♦♦♦ إن البلاء موكَّل بالمنطق

كان الوزير ابن الزيات قاسياً غليظاً، وكان يقول: ما رحمت أحدا لأن الرحمة خَوَرٌ في الطبع -يعني ضعف- ثم دار الزمان وانقلبت الأدوار ودخل السِّجن فوضعه أعداؤه في قفص ضيِّق، في جوانبه مسامير فكان كلما تحرك انغرزت في جسده فيصيحُ: ارحموني، ارحموني.

فيقول له سجانه: الرحمة خور في الطبع.

لا تنطقن بما كرهت فربما *** نطق اللسان بحادث فيكون

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى ♦♦♦ إن البلاء موكَّل بالمنطق

ينبغي للمسلم أن يعود لسانه الخير، وأن لا يتوقع الشر لنفسه، وأن يسأل الله تعالى العافية، فلنتقي الله في الفاظنا ولنبتعد عن الاستهزاء والسخرية بالغير والهمز بأي شكل كان هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

محبطات الاعمال (١)

الْحَمْدُ للهِ، مُعِزِّ الْإِسْلَامِ بِنَصْرِهِ، ومَذِلِّ الْكُفْرِ بِقَهْرِهِ، ومُصْرِفُ الْأُمُورِ بِأَمْرِهِ، ومُدِيمُ النِّعَمِ بِشُكْرِهِ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَنْ يَشَاءُ وفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، ومَنْ يَشَاءُ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ.

لَك الحَمد حمدا نستلذ به ذكرا *** وإن كنت لا أَحصي ثناء ولا شكرا

لَك الحَمد حَمداً طَيبا يَملأ السَماء *** وأَقطارها والأَرض والبر والبَحر

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ إِلَيَّ جَمِيعُ بَرِيَتِهِ، بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِجَنَّتِهِ، ونَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ بِنَارِهِ وسَطْوَتِهِ، صَلَى عَلَيْهِ وعَلَى أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ فِي أُمَّتِهِ، وعَلَى عُمَرَ الْمَشْهُورِ بِقُوَّتِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ وشِدَّتِهِ، وعَلَى عُثْمَانَ الْقَاضِي نَحْبَهُ فِي مِحْنَتِهِ، وعَلَى عَلِيِّ بْنِ عَمِّهِ وزَوْجِ ابْنَتِهِ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ أَقْتَفَى سُنَّتَهُ، وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

يا رب صل عَلى النَبي المجتبى *** ما غردت في الايك ساجعة الربا

يا رب صــل عَلى النَبي وآلــه *** ما لاحَ برق في الاباطـح أَو حبا

يا رب صــل عَلى النَبي وآلــه *** ما أَمــت الـزوّار نحـوك يثـربا

يا رب صــل عَلى النَبي وآلــه *** ما قالَ ذو كـرم لضيف مرحــبا

يا رب صــل عَلى النَبي وآلــه *** ما كوكب في الجوّ قابل كوكـبا

أوصيكم يا عباد الله وإياي بتقوى الله العظيم فإن التقوى شعار المؤمنين ودثار الصالحين ووصيه الله في وفيكم أجمعين ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص:٨٣]

عباد الله:

إن أكبر مصيبة يُصاب بها المؤمن في الحياة أن يعمل أعمالا في عينيه كالجبال.

عمرٌ طويل وهو يبنيها طاعات وصيام وصدقات وأعمال صالحات ثم عياذا بالله تبطل ويحبط الله أجرها ولا يقبلها.

يا الله والله إنها لكارثة إنها أعمال {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٤]. إنه الهباء المنثور الذي ذكره الله تعالى بقوله: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣].

فما أسباب ضياع تلك الطاعات فالله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها.

الله في القرآن حذّرنا من نموذج من نماذج البشر يعمل أعمالا كبيرة جدا صلاة وصيام وقيام وصدقات ثم يهدمها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل:٩٢]

هناك أعمال يغضب الله على صاحبها فيحبط عمله ولا يقبله منه، سنعيش مع هذه المحبطات و المدمرات والناسفات لأعمالنا.

أيها المؤمنون:

من المحبطات ما يُحبِط العملَ كلَّه؛ مثل الكفر والردة والنفاق الأكبر الاعتقادي والتكذيب بالقدر -عياذا بالله وقد قال الله -ﷻ- في الكفر وأهله: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[الْمَائِدَةِ: ٥]، وقال في الردة ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧]

أول هذه المحبطات الشرك:

أعظم ذنب عصى ابن آدم به ربه.

﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣]،فالله هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت، ومع كل هذه النعم، وهذه المنن، المشرك يجحد ذلك وينكره، بل ويصرف عبادته وتعظيمه لغير الله سبحانه.

فما أعظمه من ظلم وما أشده من جور، لذلك كانت عقوبة المشرك أقسى العقوبات وأشدها، ألا وهي الخلود الأبدي في النار، قال تعالى في بيان ذلك: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]

وكل ذنب مات العبد من غير أن يتوب منه حال الحياة فإمكان العفو والمغفرة فيه يوم القيامة واردٌ إلا الشرك والكفر، فإن الله قد قطع رجاء صاحبه في المغفرة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء:١١٦]

وتأملوا هذا الخطاب للنبي ﷺ: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزُّمَر:٦٥] فالشرك والعياذ بالله يحبط جميع الأعمال مهما كانت كثيرة وكبيرة.

ومن المحبطات: ثانيا الشرك الخفي؛ الرياء، كما روى الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ»، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا رسولَ الله؟ قال: «الرِّياءُ، يقولُ اللهُ يومَ القيامةِ إذا جَزَى النَّاسَ بأعمالِهم: اذهَبوا إلى الذينَ كنتم تُراؤونَ في الدُّنيا، فانظُروا هل تَجِدونَ عِندَهم جزاء». وفي المسند أيضًا عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه، مرفوعًا: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نتذاكرُ المسيحَ الدجالَ، فقال: «ألَا أُخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيحِ الدجالِ»؟)) قالوا: بلى! قال: «الشركُ الخفيُّ؛ أن يقومَ الرجلُ فيُصلي فيُزيِّنُ صلاتَه لما يرى من نظرِ رجلٍ"..

ولنتأمل حديث النبي ﷺ في بيان أول من تُسعَّر بهم النار: كان الصحابة يروونه فيشهقون ويغيبون عن الوعي من شدته أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة هم ثلاثة أصناف من الناس: العالم الذي يتعلم ليقال عنه عالم، والمجاهد الذي يقاتل ليقال عنه شجاع، والمنفق الذي ينفق ليقال عنه كريم. كما ورد في الحديث. هؤلاء الثلاثة فعلوا أفعالًا عظيمة، ولكنهم لم يخلصوا فيها لله تعالى، بل أرادوا بها السمعة والثناء من الناس، قال الله جل في علاه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[هود: ١٥، ١٦].

أيها الكرام:

إنه لا يشفع للمرء كون عمله عظيما إذا كانت النية باطلة، حتى ولو كان العمل هو الجهاد في أرض المعركة وإراقة الدماء، فإن النية الفاسدة تحبط ذلك العمل كله.

،وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: **يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل**. فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: **اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**.[رواه أحمد، وحسنه الألباني].

ومن المحبطات: ثالثا ذنوب الخلوات:

روى ابن ماجه عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ ونَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، ومِنْ جِلْدَتِكُمْ، ويَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ؛ ولَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا» .

يقول ابن القيم رحمه الله: **"أجمع العارفون أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن طاعة السر هي أصل الثبات".**

وقال أحد السلف رحمه الله: "إياك أن تكون عدوًّا لإبليس في العلانية، صديقًا له في السر."

ومن المحبطات: رابعا الغيبة:

اللسان كم هدم من صالحات كم هدم من طاعات، يقول ابن القيم -رحمه الله- **"إن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها؛ من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به.**[الجواب الكافي (١٥٩/ ١)].

«قالوا يا رسولَ اللهِ فلانةٌ تصومُ النَّهارَ وتقومُ اللَّيلَ وتُؤذي جيرانَها قال: **هي في النَّارِ.**

قالوا يا رسولَ اللهِ فلانةٌ تُصلِّي المكتوباتِ وتَصدَّقُ بالأثوارِ من الأقِطِ ولا تُؤذي جيرانَها قال: **هي في الجنَّةِ**» تأمل.. حسناتك صلاتك صيامك، قد تضيِّعها بلسانك بكل سهولة وتهديها لمن اغتبت لم تكلمت في عرضه، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما .

أما بعد: أيها الأحباب الكرام و**من المحبطات للأعمال**: **سادسا العجب**:

العُجب هو: الإحساس بالتميّز، والافتخار بالنفس، والفرح بأحوالها، وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال، وعرفه ابن المبارك بعبارة موجزة فقال: (أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك).

فالمرء قد يعمل طاعة، فيستعظمها في نفسه، ويرى أنه قدّم شيئا كبيرا يستحق أن يشكر ويثنى به عليه، وربما يدلّ على الله بعمله. فكأنه هو صاحب الفضل، وربما يزدري عباد الله وخاصة من يبدو منهم التقصير فيرى نفسه خيرا منهم. وهذا أس البلاء ومكمن الداء.

ولهذا حذر الشرع من ضرر العجب على الفرد والأمة:

فها هم المسلمون يوم غزوة حنين لما رأوا كثرتهم قال بعضهم لما رأى كثرة عدد المسلمين (لن نهزم اليوم من قلة) فماذا كانت النتيجة؟ دارت عليه الدائرة وهزموا، وفروا عن رسول الله ﷺ إلا نفر قليل ممن تربوا على عينه، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، أهلُ الشجرة أهلُ السمرة، حتى نصرهم الله بعد هزيمة محققة قال الله تعالى عنهم:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة:٢٥]

أما أثر العجب على الفرد فإنه من الخطورة بمكان فقد روى البيهقي وحسنه الألباني عن رسول الله ﷺ أنه قال:(**ثلاث مهلكات، : فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدهن**) ، وجاء في البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**).

ربما غفر الله لذلك المذنب بانكساره بين يدي ربه وخوفه من ذنبه، وعُذب هذا المفتخر المغتر بعبادته وصلاحه، قال ابن القيم في (مدارج السالكين):

"إنك أن تبيت نائما وتصبح نادما خيرٌ من أن تبيت قائما وتصبح معجبا فإن المعجب لا يصعد له عمل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين "

دخل المزني على الشافعي في مرض موته فقال: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، وعلى الله واردا، ولا أدري: أروحي تصير إلى الجنة فأهنّئها أو إلى النار فأعزّيها!! ثم أنشد:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي *** وإن كنتُ يا ذا المن والجود مجرما

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي *** جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته *** بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فإن تعف عني تعف عن متمرد *** ظلوم غشوم لا يزايل مأثما

جاء في المستدرك" (٤ / ٢٥٠ - ٢٥١) وغيره: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ هَرِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رضي الله عنهما قَالَ: "خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ:

"خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي جِبْرِيلُ آنِفًا فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنَّ للهِ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ عَبَدَ اللهَ تَعَالَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ وأَخْرَجَ اللهُ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً وشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ مِنَ الْوضُوءِ وأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وقْتِ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا، وأَنْ لَا يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ ولَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى بَعَثَهُ وهُوَ سَاجِدٌ. قَالَ: فَفَعَلَ.

فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا وإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ﷻ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ لِلْمَلَائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ وبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ!! فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ. قَالَ: فَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فَيُنَادِي: رَبِّ بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رُدُّوهُ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي، مَنْ خَلَقَكَ ولَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ أَوْ بِرَحْمَتِي؟ فَيَقُولُ: بَلْ بِرَحْمَتِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ قَوَّاكَ لِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وسَطَ اللُّجَّةِ وأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ وأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً وإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، وسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَكَ سَاجِدًا فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي، وبِرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي، فَيُدْخِلُهُ اللهُ الْجَنَّةَ، قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى يَا مُحَمَّدُ.

هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

محبطات الأعمال(٢)

الحمد لله الذي لا مانع لما وهَب، ولا مُعطي لما سلَب، طاعته للعاملين أفضل مكْتسب، وتقواه للمتقين أعلى نسب، أحمده على ما منحنا من فضله ووهب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هزم الأحزاب وغلب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه وانتخب، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الفائق في الفضائل والرتب، وعلى عمر الذي فرّ الشيطان منه وهرب، وعلى عثمان ذي النورين التقي النقي الحسب، وعلى علي صهره وابن عمه في النسب، وعلى بقية أصحابه الذين اكتسوا في الدين أعلى فخر ومكتسب، وعلى التابعين لهم بإحسان ما أشرق النجم وغرّب، وسلم تسليما.

وبعد.. أوصيكم ونفسي بتقوى ا لله فهي خير زاد وخير لباس .

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧]

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف:٢٦]

عباد الله:

إن الذنوب جراحات وأمراض، وكما أن الأمراض السرطانية وغيرها من الأمراض الخطيرة تُمثل تهديداً خطيراً على حياة الإنسان المصاب بها، فكذلك الذنوب والمعاصي منها ما يكون مثل السرطان يؤدي إلى حبوط الأعمال الصالحة وبطلانها، و إحباط العمل قد يمنع من دخول الجنة، أو يؤخر في دخولها، أو يمنع نيل الدرجات العلا، وقد يأتي العبد يوم القيامة، وقد تلاشت أعماله الصالحة وأصبح مُفلسا، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد:٣٣]

قال الشاعر: لو أن ألف بانٍ خلفهم هادمٌ كفى *** فكيف ببانٍ خلفه ألف هادمِ

حدثت نفسي يوماً هل هذا المثل قد ينطبق على أعمالنا الصالحة؛ فهناك هوادم ومحبطات، ومبطلات تصيّرها هباءً منثورا؛ والمصيبة أننا قد لا نشعر إلا وقد انتهت حسناتنا، ولا يزال قول الله تعالى يتردد صداه في قلبي وأُذني: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحُجُرات:٢]

وقفنا في الجمعة الماضية مع المحيطات والمدمرات الشرك الرياء اللسان والغيبة وذنوب الخلوات والعجب.

ومن المحبطات: سادسا الأذى للغير؛ بظلمهم، والاعتداء عليهم بالقول أو الفعل. لو كانت ذنوبك عنان السماء لو جيت بملء الأرض خطايا ثم أقبلت على الله صادقا تائبا مقبلا غفر الله لك كل خطاياك.

أما ما بينك وبين الخلق ظلمت نهبت سرقت سلبت لن يغفر الله لك حتى يعفو عنك من ظلمت.

خسارة عظمى أن تكون من المفلسين يوم القيامة.. يؤخذ من حسناتك وتعطى إلى كل من ظلمت أو آذيت أو شتمت أو.. أو.. ولا يقف الأمر عند هذا بل يؤخذ من سيئاتهم وتضاف إليك. ثم تطرح في النار. يا لها من خسارة هذا ما جاء! في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عن النبي ﷺ: أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ.

فيوقف يوم الحشر، ويقف حوله خصماؤه ولكم أن تتصوروا هذا الموقف، الخصماء يحيطون به من كل مكان، فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بكتفيه، وهذا يقول ظلمني، وآخر يقول سفك دمي، وذاك يقول سلب مالي، وغيره يقول جاورني فأساء جواري، وهذا يقول غشني، وقائل يقول كذب علي... كل الخصماء، يحيطون به، يبحث عن طريقة للتخلص منهم، لكن يقرع سمعه نداء الجبار: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة التحريم:٧].

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات:٣٦]

وروى الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، ودِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، ودِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ: فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ» ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة: ٧٢]، «وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا: فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَغْفِرُ ذَلِكَ ويَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ، وأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا: فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ».

انتبه أن تظلم أحد، ومن ظلمت اطلب منه السماح في الدنيا ورد الحقوق إلى أهلها قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه دينار ولا درهم.

معاشر المؤمنين! ومن الأمور التي هي سبب لإحباط الأعمال، وإتلاف الثواب سابعا: التكذيب بالقدر، فإن من الناس قد يستهزئ ويستهتر، و يكذّب بالقدر وهو لا يدري، يقول النبي ﷺ: (**ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاق لوالديه، ومنّان، ومكذّب بالقدر**).[رواه الطبراني والبيهقي]

وعن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان ﭫ أن رسول الله ﷺ قال: (**لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم**.[رواه أبو داود في سننه (حديث رقم: ٤٦٩٩).ورواه أحمد في المسند (رقم: ١٧١٣٧)].

ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله، ما قبله الله منك، حتى تؤمن بالقدر، و**تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن لصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار**).صحيح] - [رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد]

فليسمع هذا الحديث أولئك الذين يعترضون ويتسخطون ويدعون بالويل والثبور من أقدار الله ﷻ.

إذا أُصيب أحدهم ببلية، أو نزلت به نازلة، قال: لماذا فُعِل بي هذا؟! وما الذي فعلتُ؟! أين المجرمون؟! أين الفجرة؟! أين الفساق؟! لماذا يتنعمون وأنا الذي أُبتلى؟! لماذا يصِحُّون وأنا المريض؟! لماذا هم أغنياء وأنا فقير؟! لماذا هم أحرار وأنا أسير؟! لماذا لماذا لماذا يكرر التسخط والتشكي، حتى يشكو الخالق إلى المخلوق وبضيع أجره.

الإيمان بالقدر من أعظم ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميدان النزال غير هيابين ولا وجلين، شعارهم ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ (التوبة، آية: ٥١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

ومن المحبِطات: ثامنا إتيان الكُهَّان والسحرة والعرَّافين والمنجِّمين:

ففي الحديث الصحيح: «مَنْ أتى عرَّافًا فسأله عن شيء لم تُقبَل له صلاةٌ أربعينَ ليلةً»؛ (رواه مسلم). نعم: الذهاب الى العرافين والمشعوذين وسؤال الكُهَّان يَمنَع قبولَ الصلاة أربعينَ ليلةً، وتصديقهم بما يقولون يُوقِع في الكفر..

قد يسأل سائل ما هي علامات السحرة والعرافين والكهان وكيف نميزهم؟

ومن علامات العرافين والسحرة والكهان أنهم يدعون علم الغيب ويسألون عن اسم أم الشخص المتقدم إليهم، ويكثر لديهم استعمال البخور والمواد الغريبة، ويطلبون من الشخص الذبح لغير الله، ويستعملون الخواتم الكبار، ويتمتمون بالكلمات الغريبة الخفية، ويستعملون الرموز والطلاسم، وقد يتظاهرون بقراءة القرآن في أول الأمر مخادعة للشخص الذي يأتيهم، نسأل الله أن يقينا كيدهم "فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ".

ومن المحبِطات: تاسعا قطيعة الرحم: فقد جاء في الحديثِ الحسنِ: «إن الأعمال تُعرَض كل خميس وليلة الجمعة، فلا يَقبَل اللهُ عملَ قاطعِ رحمٍ». قاطع الرحم محروم البركة في عمره ورزقه محروم التوفيق وعمله غير مقبول.

و**من المحبِطات: عاشرا ترك صلاة العصر**: فقد أمر الله ﷻ بالمحافظة على الصلوات الخمس عمومًا، وأكد على صلاة العصر خصوصًا لأهميتها؛ فقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨]

وفي صحيح البخاري عن بريدة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله». وفي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله».

ومن المحبطات حادي عشر: التألِّي على الله تعالى: ففي صحيح مسلم عن أبي ذرٍّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألَّى على ألَّا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك».رواه مسلم)، ومعنى: "يتألَّى عليَّ" أي: يُقسِم عليَّ.

لا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه ولو مازحًا: واللهِ، لن يغفر الله لك، أو لن يدخلك الجنة أبدًا، أو والله إنك ستدخل النار؛ لما في ذلك من القولِ على الله بغير علم، فلا يجوز لنا أن نحجر رحمة الله عن أحد، فالكل تحت المشيئة، ولا نجزم لأحد بدخول جنة أو نار، إلا من شهد له رسول الله.

من أنت حتى تحكم لفلان أو علاّن بأنه من أهل النار أو أهل الجنة.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

[الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

اللهم اجعلنا في بلادنا آمنين مطمئنين، اللهم واجعل بلاد المسلمين عامرة بذكرك، عاملة بشرعك، مقيمة لدينك، اللهم أسبغ علينا وعلى إخواننا الأمن والإيمان، اللهم ارحم المستضعفين، اللهم ارحم إخواننا المستضعفين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

محبطات الأعمال (٣)

الحمد لله بتحميده يُستفتح كل كتاب وبذكره يصدّر كل خطاب عليه يتوكل المتوكلون وببره يستغيث المضطرون يا رب يا رب

إليك وإلا لا تشد الركائب *** وعنك والا فالمحدث كاذب

وفيك والا فالغرام مضيع *** ومنك والا فالمؤمل خائب

الله قل وذر الوجود وما *** حوى إن كنت مرتادا بلوغك كمالي

فالكل دون الله إن حققته *** عدم على التفصيل والاجمال

وأشهد أن لا إله إلا الله علّم وألهم وأنعم وأكرم وحكم وأحكم وأوجب وألزم وأمات وايتم لا إله الا الله كل يوم هو في شأن.

واشهد أن سيدنا ونبينا وشفيعنا يوم العرض على ربنا محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه

سعدت ببعثة أحمد الأزمان *** وتعطرت بأريجه الاكوان

والشرك أنذر بالنهاية عندما *** جاء البشير وأشرق الايمان

وعلى آل بيته الطيبين، وصحبه الغر الميامين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران:١٧٣]

أوصيكم يا عباد الله وإياي بتقوى الله العظيم وطاعته ولزوم اوأمره، وكثره مخافته فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

[القصص:٨٣]

ثم أما بعد.

عباد الله:

فعلُ الطاعات وأداء العبادات فيه كُلْفة، فقد يلاقي العبدُ بعضَ المشقة في أدائها، لكن الأهم من ذلك كله -يا عبد الله- المحافَظة على هذه الطاعات، والحرص على هذه العبادات حتى لا تذهب هباء، ولا تضيع سُدًى، فترى العبدَ يحافظ على الصلوات الخمس، مع المسلمين في مساجدهم، ويصوم ويحج ويعتمر ويزكي ويصل الرحم، ويعمل أعمال الخير والبر، ثم يستحوذ عليه الشيطان فيُوقِعُه في المحبِطات والمبطِلات، فيذهب تعبه، ويخسر آخرته عياذا بالله.

وقفنا في الجمعتين الماضيتين مع المحبطات الشرك الرياء الغيبة واللسان وذنوب الخلوات والعجب والذهاب الى الكهنة والمشعوذين وترك صلاة العصر وأذى الخلق وظلمهم، وقطيعة الرحم والتكذيب بالقدر والتآلي على الله.

ومن المحبطات قتل النبيين و الذين يأمرون الناس بالقسط:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢﴾ [آل عمران:٢٢]

قتلة الأنبياء هم اليهود، ودموية اليهود ليست جديدة أثبتت لنا أُمة يهود على مدى صراعهم الطويل مع أهل الحق والإيمان.

مدى دمويتهم، وتعطشهم لسفك الدماء المؤمنة الطاهرة؛ فمنذ بدء إرسال الرسل إلى بني إسرائيل الأوائل؛ لدعوتهم إلى الحق، وعبادتهم للإله الواحد، وهم لا يعرفون إلا لغة القتل والدماء؛ فلا يكتفون بمجرد تكذيب الرسل والأنبياء والإعراض عن شريعتهم فحسب، وإنما يعملون فيه السيف وآلة القتل بكل وحشية وإجرام.

واتفاقاتهم ومعاهداتهم ما هي إلا إبر تخدير، وأدوية تنويم، يستخدمها الأعداء وأذنابهم ومنافقوهم في الداخل لاستغفال المؤمنين وصرفهم عن حقيقة الصراع.

لا يكتفون بقتل النبيين الذين جاءوا لهدايتهم وسعادتهم، وإنما يقتلون مع ذلك الذين يأمرونهم بالعدل من مرشديهم ونصحائهم.

ويدخل هذا التهديد الذين يقتلون الدعاة إلى الله والعلماء الربانيين؛ فهم الذين يأمرون الناس بالقسط.

ومن المحبطات شرب الخمر: وهو المسكر من كل شراب أيًا كان نوعه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠]

وشرب الخمر يؤدي إلى حبوط عمل شاربها الصالح، المتمثل في الصلاة، ومعلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة عمود الدين، إن صلحت صلح سائر عمل الإنسان، وإن فسدت فسد عمله كله، فاذا أفسد شرب الخمر الصلاة، وأحبط أجرها، فإن معنى ذلك انه أبطل سائر أعماله، وقد ورد في ذلك عدد من الأحاديث الصحيحة منها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من شرب الخمر شربة لم تقبل له توبة أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل توبته أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة**»[رواه الترمذي: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع]

ومعنى ذلك إن لم يتب يكون قد أحبط أجر صلاة مائة وعشرين يوما، سيأتي عليه يوم يكون فيه أحوج ما يكون إلى حسنة واحدة، وأجر ركعة واحدة فما بالك بضياع أجر ستمائة صلاة، حينها تكون الحسرة والندامة في وقت لا تجدي فيه شيئا.

ومن المحبطات الفرح والسرور بقتل المؤمن:

وقال -ﷺ-: «مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاغْتَبَطَ بِقَتْلِهِ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً ولا عَدْلًا»[(رواه أبو داوود وصححه الالباني]. "الصرف: التوبة وقيل النافلة، والعدل الفدية، وقيل الفريضة".

يا الله هل هناك مسلم موحد يفرح بقتل أخيه المؤمن؟

نعم هناك من يفرح بقتل أخيه المؤمن ليس لشيء إلا للاختلاف في المذهب أو الفكر السياسي أو التَّبَعيَّة الإقليمية وغيرها، بل ويَصِل به الأمر إلى أن يقول:

إنهم مجرمون، ويستحقون القتل، ويُبرِّئ القتلة، ويُلقي لهم التحية ويَصِفهم بالأبطال؛ لقتلهم المسلمين من إخوانهم وأبنائهم، وكأنهم العدو الحقيقي الذي اغتصب الأرض، وأهان كرامة المسلمين في مقدَّساتهم؛ كما هو حاصل في غزة الجريحة.

والعجيب في أيامنا هذه، أن تجد مسلما مصليا، يسمع أن فئام من المسلمين يُقتلون، أو يُعذّبون، أو يُعتقلون في بقعة من بقاع الأرض فيفرح، ويرضى بما يُفعل بهم؛ لأنهم مخالفون له في الفكر، أو المذهب أو الحزب، فيا خيبتاه، ليعلم أنه مشارك في الإثم، ولو بعدت المسافات؛ فعن العرس بن عميرة الكندي عن النبي -ﷺ- قال: **"إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها" وقال مرة: "فأنكرها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها"** [رواه أبو داود في "سننه" (حديث رقم ٤٣٤٥)وأحمد في "المسند" (٤/ ٩٦)والطبراني في "المعجم الكبير"وصححه الألباني في "صحيح أبي داود"]

ومن المحبطات المرأة الناشز حتى ترجع إلى طاعة زوجها:

عن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله –ﷺ–: « **اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد ابق من مواليه حتى يرجع اليهم، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع**»[أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) وصححه الالباني(٣٦٢٨)].

ويُؤخذ من الحديث: تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي، أما لو بدأ هو بهجرها ظالمًا لها فهجرت فلا يقع عليها هذا الوعيد.

هذا إذا كان السخط لسوء خلقها أو سوء أدبها أو قلة طاعتها. أما إن كان سخط زوجها من غير جرم فلا إثم عليها.

ولا ينبغي للزوج صاحب المروءة أن يكون ديدنه تهديد زوجته بمثل هذه الأحاديث، أو أن يبيت ساخطا عليها، لئلا يذهب عليها أجر صلاتها، وإنما عليه المسارعة بالرضا عنها من داخل قلبه، وإن لم يُظهر لها ذلك، فهي لا تزال أم عياله، وقطعة من فؤاده، وشريكتهُ في الحياة، يرجو صلاحها.

ومن المحبطات -من أم قوم وهم له كارهون:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"**ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون**".[رواه الترمذي في سننه (٢/ ١٩٢)]

وقد كره قوم من أهل العلم أن يؤم الرجل قومًا وهم له كارهون، فإذا كان الإمام غير ظالم؛ فإنما الإثم على من كرهه.

وبهذا يتبين أن الأمر ليس مرهونًا بأمزجة وأهواء المصلين، وإنما مرهون باتباع السنة أو مخالفتها.

"لا تجاوز صلاتهم آذانهم" أي لا تُرفع إلى السماء، وهو كناية عن عدم قبولها.

وقوله: "وإمام قوم وهم له كارهون" هذا فيما إذا كره القوم الإمام لبدعته، أو فسقه، أو جهله بالإمامة، أما إذا كانت الكراهة لشيء دنيوي، فلا يدخل في هذا الحكم.

ومن المحبطات هجر المسلم لأخيه المسلم دون عذر شرعي:

الفرق بين التهاجر والتدابر والتشاحن:

قال ابن حجر:

التهاجر: أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام لغير غرض شرعي.

التدابر: هو الإعراض عن المسلم بأن يلقى أخاه فيعرض عنه بوجهه.

التشاحن: هو تغيّر القلوب المؤدي إلى التهاجر والتدابر.

وقد جاءت أحاديث تدل على أن الهجر محبط للعمل، ومنها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا: رجل أمّ قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان".

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا".

كررها ثلاثًا للتأكيد.

المراد بتأخير النظر في المغفرة لهما، وهذا إذا اشتركا في الشحناء ولم يبذلا في الإصلاح.

أما إذا كانت من طرف واحد، أو بذل أحدهما وسعه في الصلح دون فائدة، فالوعيد يتوجه للطرف الآخر.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

وبعد.. أيها الإخوة:

ومن المحبطات: سبُّ الصحابة:

عن أنس بن مالك – ﷺ – قال: قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ:

«يا رسول الله، أنا نُسب؟»

فقال رسول الله ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»(رواه الطبراني في الأوسط)

والشاهد من الحديث: قوله ﷺ:«لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»

وقد سبق شرح معناها: أنه رمز لعدم قبول عمل العبد.

حكم سب الصحابة:

لا خلاف بين العلماء في تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، لقول النبي ﷺ:

«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»

(رواه البخاري ومسلم)

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن: من سبَّهم فهو فاسق، ومنهم من يكفره ولا حول ولا قوة الا بالله.

ومن المحبطات الكلام والإمام يخطب الجمعة و مسّ الحصى وما يشبهه:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ:

«من مس الحصى فقد لغا»(رواه مسلم) وزاد بعضهم: «ومن لغا فلا جمعة له»

معنى "من مس الحصى":أي: العبث به والاشتغال عن الخطبة، وكانت المساجد تُفرش بالحصى. ومثله اليوم: العبث بالسجاد أو الهاتف أو النقوش أو أي شيء يشغل عن الخطبة. فيه إشارة إلى وجوب إقبال القلب والجوارح على الخطبة.

قوله: "فلا جمعة له":أي: يُحرم من ثواب الجمعة، وكأنها صلاها ظهرًا، مع إثم اللغو.

ومن المحبطات المرأة المتطيبة الذَّاهبة للمسجد:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تُقبل صلاة لامرأة تَتَطيب لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غُسلها من الجنابة»(رواه أبو داود)

لا تُقبل صلاتها ما دامت رائحة الطيب عليها.

إذا كان هذا في حق من ذهبت للصلاة، فكيف بمن تتطيب وتخرج للأسواق ولا تصلي أصلًا؟

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه لقي امرأة تعصف ريحها، فقال لها: "يا أمة الجبار، تريدين المسجد؟"

قالت: نعم، قال: "ولِه تَطَيبتِ؟" ، قالت: نعم

قال: "فارجعي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تخرج إلى المسجد، فتعصف ريحها، فيقبل الله منها صلاة، حتى ترجع فتغتسل»"

ومن المحبطات للأعمال الصالحة: "سوء الخُلُق":

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ العملَ كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ» (رواه ابن حبان في صحيحه، والطبراني في الكبير).

- والحديث يُشير إلى أنَّ:

الخُلُق السوء يُغيّر طعم العمل من الحلاوة المقبولة إلى شيء منفر.

كما أن الخلّ يُفسد طعم العسل، فإن السوء في الخلق يُبطل أثر الأعمال الصالحة.

في عالم المعاني: العمل الصالح كالعسل، وسوء الخلق كالخلّ الفاسد.

ومن هنا، فإن الرجل لا ينال الكمال، ولا يحوز الخيرات، ولا يبلغ الغايات إلا بحُسن الخلق، فهو أعظم ما يوزن به المؤمن يوم القيامة، وسوء الخلق من أعظم ما يُحبط العمل ويضيع أجره.

ومن المحبطات "المنّ بالعطية":

المنّ: هو أن يُعدد الإنسان عطاياه، أو يذكرها لغيره على وجه التفضل والتفاخر.

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

وقال أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

- وقال الشاعر:

أفسدتَ بالمنِّ ما أسديتَ من حسنٍ *** ليس الكريمُ إذا أسدى بمنَّانِ

- وقد شبَّه الله تعالى هذا الفعل القبيح في القرآن الكريم بما يلي:

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة:٢٦٤]

المعنى: كما يُزيل المطر الغزير التراب عن الصخرة، كذلك يُزيل المنّ أجر الصدقة ويُحبطها تمامًا، ويترك القلب أجوف لا بركة فيه.

وقالوا: أكثر الناس خسارةً هو المَنَّان؛ لأنه يُقَدِّم لك ويَخْسَر، ثم يَمُنُّ عليك ويَخْسَرُك، ولا يبقَى معه سوى الخسران!

ومن المحبطات السخرية بالدين وأهله:

روى عبد الله بن وهب بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المسجد: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله -ﷺ-، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله ابن عمر وأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله -ﷺ-تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله -ﷺ- قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٦]

ومن المحبطات رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ:

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحُجرات: ٢]

" جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى»؟ قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**» قال: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة (البخاري ومسلم واللفظ له).

قال أهل العلم أن هذا قد يحصل بعد وفاته – عليه الصلاة والسلام –، فإذا كان المسلم في مسجده –ﷺ– أو في زيارة قبره – عليه الصلاة والسلام – فعليه أن يخفض صوته، وإذا كان في حديث أو في نِقَاش وهو في المسجد النبوي الشريف فعليه مراعاة ذلك كله، ومما يُروَى أن الخلفية أبا جعفر المنصور تناظَر مع الإمام مالك؛ إمام دار الهجرة –رحمهما الله جميعا– وهما في المسجد النبوي، فقال مالك للخليفة: "لا ترفع صوتك يا أمير المؤمنين في هذا؛ فإن الله –تعالى– أدَّب قومًا فقال:

﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الْحُجُرَاتِ: ٢]، ومدحهم فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)[الْحُجُرَاتِ: ٣]، وذمَّ قومًا فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[الْحُجُرَاتِ: ٤]، وإن حرمته ميتا كحرمته حَيًّا"، فاستكان لها أبو جعفر، ومن لطيف ما قرره أهل العلم في ذلك أن هذا الأدب ينبغي أن يكون حين قراءة حديثه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وسماعه، فقد قالوا: "إن كلامه المأثور بعد موته مثل كلامه المشهور من لفظه".

ومن المحبطات اقتناء كلب غير كلب صيد أو حرث أو ماشية:

روى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «من اتخذ كلبا إلا كلب زرع أو غنم أو صيد، ينقص من أجره كل يوم قيراط» (البخاري ومسلم واللفظ له).

ومن ذا الذي يستطيع أن يجمع كل يوم قيراط حسنات وكيف بمن سيخسر كل يوم مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله؟!، هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة.

فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦] اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

فتنة التكفير

الحمد لله الغفور الحليم؛ وفَّق مَن شاء مِن عباده للخير والهدى، وانحرف عن صراطه أهل الردى، ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ نحمده على نعمه العظيمة، ونشكره على آلائه الجسيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ القائل، هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ [الحج:٧٨].

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ بُعِث بالحنيفية السمحة التي لا غلو فيها ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُؤمِنون:

أُوصِيكُمْ ونَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ وطَاعَتِهِ، والاقْتِدَاءِ بِهَدْيِ نَبِيِّهِ -ﷺ- وسُنَّتِهِ،

عباد الله: هناك مسائلُ في هذا الدّين خطيرٌ أمرُها؛ عظيمٌ شأنها؛ دقيقٌ فهمُها، زلّت فيها فئام من الناس، ومِن أخطر هذه المسائل تكفير العباد وتفسيقهم.

التكفير فتنة عظيمة وآفة خطيرة، مزقت جسد الأمة الإسلامية في القديم، وما زالت تفعل ذلك في عصرنا هذا.

نَعَم أيها الكرام،

إن تكفير المسلمين بلا ضابطٍ قرآنيّ ولا فهمٍ محمديّ يؤدي إلى شرورٍ عُظمى وفتنٍ كُبرى، سُفكت بسببها الدماء، وهُتِكت الأعراض.

نتحدث عن خطورة التكفير والتشدد في الدين، وتكفير العباد والهيئات والجماعات، بعد أن ظهر في منابرنا وبين أظهرنا، في هذه المحافظة الآمنة، التي هي رمز الأمن والسلام، من نصّب نفسه قاضيًا على الناس،

فيُكفِّر هذا، ويُبدِّع هذا، ويُفسِّق ذاك، ويُخرِج هذا من الملة، ويدخل الجنة من شاء، والنار من شاء، والعياذ بالله يُكفرون الأشخاص والجماعات، والأحياء والأموات، ويشقّون النسيج الاجتماعي، ويزرعون الفرقة بيننا، بل وصل بهم الأمر إلى تكفير العلماء الصالحين الذين انتشر فضلهم وخيرهم على الأنام، الأحياء منهم والأموات.

إنها فتنة واختلاف وشرٌّ عظيم، بل سماها الإمام الشوكاني من أعظم الفواقر – أي القواصم – التي تقصم الدين.

أيها المسلمون:

إن التكفير حكم شرعي مرده إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يذهب عنه ذلك إلا بيقين، ولا يكفر مسلم بمجرد الشبهة والظن؛ وإذا كان محرم سباب المسلم وقذفه والاستهزاء به والسخرية منه فكيف بإخراجه من ملة الإسلام؟!! إن ذلك جناية لا تعدلها جناية وجرأة و تعدي حدود الله!! فلا يجوز تكفير أحد من عصاة المسلمين فإنهم تحت مشيئة الله، وتسعهم رحمة الله.

عباد الله: **من أين جاء التكفير وما أصله؟؟**

ظهر التكفير مبكرا في عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، انهم الخوارج وما أدراك ما الخوارج.

ظهر الخوارج في خلافة عثمان ذي النورين زوج بنتي رسول الله ﷺ؛ الخليفة الراشد بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، الذي شهد له النبي ﷺ بالجنة، وخرجوا عليه وقتلوه زاعمين أنه كافر! وهم يزعمون أنهم بذلك يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر!.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤]

وظهروا في خلافة سيدنا علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، فخرجوا عليه بعد أن حكموا عليه بالكفر ومن معه، وقد كانت أول بذرة الخوارج من ذو الخويصرة الذي اعترض على رسول الله ﷺ؛ وقال: اعدل يا محمد، فقال النبي ﷺ: (وَيْلَكَ! مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!) الحديث عند البخاري.

ومن الفرق المنسوبة إلى أهل القبلة التي أصَّلت للتكفير، واستحلت به دماء المسلمين، ورفعت به السلاح على كل مخالف، الشيعة الإمامية. الاثناعشرية الذين يُكفّرون جميع الصحابة -رضي الله عنهم-، ويرون أنهم مرتدون إلا ثلاثة هم: سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين.

وأما تكفيرهم لعموم المسلمين فمبنيٌ على عنصرية بل زعموا أنهم خُلقوا من طينة غير الطينة التي خلق سائر الناس منها. بل روى عالمهم الكليني عن أبي جعفر قال: "والله إن الناس كلهم أولاد بغايا، ما خلا شيعتنا! "،وهذه العنصرية المذهبية تجعلهم يكفِّرون غيرهم ممن لا يوافقهم في ضلالاهم، ولو كانوا صحابة رسول الله -ﷺ- وأمناءه على دينه.

أيها المسلمون:

ما هي أسباب التكفير؟ ما الذي يجعل المسلم يكفر أخاه؟

أسبابُ كثيرة من أبرزها **أولاً : الغلو في الدين**، وقد حذر منه النبي ﷺ فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ والْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ" [أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٥/ ٢٦٨ وأخرجه ابن ماجه في سننه (حديث رقم: ٣٠٢٩ وأخرجه أحمد في المسند (ج٣/ ص٣٧١)].

أخذ الدين بشدة فكل شيء عندهم حرام، إن هذا متين فأوغلوا فيه برفق يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا، هذه وصايا نبينا ﷺ للمسلمين عمومًا.

ومن أسباب ظهور التكفير ثانيًا: الجهل بدين الله ﷻ، وبمعاني آياته وأحكامه.

ومن أسباب ظهور التكفير ثالثًا: عدم إتباع منهج السلف ﷺ في فهم نصوص الكتاب والسنة، رابعًا، عدم الرجوع هم إلى العلماء الربانيين في النوازل والمستجدات كما أمر الله ﷻ فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣]

ما هي آثار التكفير والتشدد:

أيها المسلمون: اعلموا أن للتكفير عواقبه الوخيمة وأضراره الجسيمة على الفرد والمجتمع؛ فالتكفير ذريعة ومسوغ لاستباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصّة والعامة، وتفجير المساكن، وتخريب المنشآت، وزرع العداوات والأحقاد والفرقة بين أفراد المجتمع.

عباد الله: الحكم على مسلم بالكفر يتضمن الحُكم عليه بالعظائم والموبقات، كوجوب اللعنة والغضب وحبوط الأعمال وعدم المغفرة، والخلود في النار، مع وجوب مفارقة الزوجات، واستحقاق القتل، وعدم الميراث، وتحريم الصلاة عليه وعدم دفنه في مقابر المسلمين إلى غير ذلك وهذا من أعظم البغي.

يا الله ما هذه الجريمة العظيمة التي يرتكبها من يُكفّر المسلمين.

أيها المتسرع في التكفير: كيف تحكم على إنسان أن الله لا يغفر له، وأن الله لا يرحمه كيف تحكم على مسلم أنه مخلّد في النار!!!

اجعلت نفسك ندا لله صح عن النبي ﷺ أنه: **كان رجلانِ في بني إسرائيلَ مُتآخِينِ، فكان أحدُهما يذنب، والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزال المجتهدُ يرى الآخرَ على الذنبِ فيقول: أَقصِرْ. فوجده يومًا على ذنبٍ فقال له: أقصِر. فقال: خلِّني وربي أبعثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: واللهِ! لا يغفر اللهُ لك – أو لا يدخلُك اللهُ الجنةَ! – فقبض أرواحَهما، فاجتمعا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهدِ: كنتَ بي عالما، أو كنتَ على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهبْ فادخلِ الجنةَ برحمتي، وقال للآخرِ: اذهبوا به إلى النارِ**: [صحيح أبي داود]

من الأحكام المتعلقة بالكافر الأصلي والمرتد، إن كان حاكماً فإنه يَجْعلُ أهلَ الغُلو يُسَوِّغُونَ لِأنفُسِهِمُ الخروجَ على هذا الحاكم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

وبعد.. أيها الإخوة:

النهي عن تكفير المسلمين:

ولقد شدد النبي ﷺ في النهي عن تكفير المسلم بل جعله كقتله :

في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: (...، **من لعن مؤمنا فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله**)[رواه البخاري في الأدب المفرد (ح ٤٣٥)ورواه أبو داود (ح ٤٩٠٨)].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي الله عليه وسلم: (**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**).

وقال الشوكاني -رحمه الله-: " **لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار**" انتهى من [السيل الجرار: ٤/ ٥٧٨].

وقال الإمام القرطبيّ رحمه الله: (**بابُ التّكفير بابٌ خطير أقدَم عليه كثير من النّاس فسقَطوا، وتوقّف فيه الفحولُ فسلِموا، ولا نعدِل بالسّلامة شيئًا**).

عباد الله: تأملوا –رحمكم الله –فيما رواها البخاري كيف غضب رسول الله ﷺ على أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ – رضى الله عنهما – حين قتل المشرك بعد أن قال: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَقَالَ:"**يَا أُسَامَةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟! ".قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ:"أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟! **" قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّى لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وتأملوا رحمكم الله في حال هذا الرجل: فقد جاء محاربا ولم يأت مسالما، بل قتل من المسلمين عددا ومع ذلك عنفه النبي ﷺ ووبّخه ولامه أشد اللوم لقتله إياه، ونقل ابن حجر عن ابن التين قوله: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد.

ومما يدل على معاملة العبد بظاهره أن النبي ﷺ لم يكن يُكفّر من يعلم كُفره مع إظهاره الإسلام كالمنافقين، بل كان يعاملهم بظاهرهم مع علمه بكفرهم، فلم يكفرهم ولم يأمر بقتلهم بل شعاره معهم: "**دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**"

[أخرجه الإمام البخاري في "التاريخ الكبير" (٣/ ٣٤٥).وصححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم ٦٨٤)].

وفي هذا تشويه بالإسلام والمسلمين.

أيها المسلمون:

نحن في سفينةٍ واحدة؛ ولابد أن نتضامن جميعا من أجل نجاة هذه السفينة؛ كما علينا أن نأخذ على أيدي العابثين بهذه السفينة؛ وإلا غرقت بنا جميعا.

علينا أن نحرِص جميعًا على اتّفاق الكلمة ووَحدة الصفّ على شرع الله وسنه رسوله الامة فيها ما يكفيها من التمزق والتفرق والاختلاف، فليست بحاجة إلى مَن يزيدها تمزقا وتفرقا، وأعداء الإسلام قد أحاطوا بها من كل جانب، وقد قال الله تعالى:

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾

[الأنفال:٤٦]

واجب السلطة عموما والاوقاف خصوصا أن تضع حدًا لأي منبر أو مسجد يُفرّق بين المسلمين ويُكفّر ويُبدّع ويفسق المسلمين أفرادا أو جماعات.

هذه المساجد ما بُنيت الا لجمع الكلمة ولمّ الشمل ووحدة الصف.

قبل أن أُغادر مقامي هذا، نعزّي أنفسنا وأمتنا باستشهاد القائد يحسن أنوار، رحمه الله رحمة الأبرار.

وهي رسالة أن ديننا أغلى من أرواحنا، وأن التضحية من أجل الدين والمقدسات والأوطان رفعةٌ لصاحبها دنيا وآخرة، وأن الدين والرب والحق باقٍ مهما فقدت الأمة من العظماء والقادة.

بل التضحيات من الكبار تشعل القضية وتزيدها حماسًا.

وقد تُوفي النبي ﷺ، فخلَفه أبو بكر، فأعادها جذعة، وتوفي أبو بكر، فقام لها الفاروق وضحى بحياته، ومن بعده عثمان وعلي.

استُشهد القسّام، فأقسم الرجال ليسيرنّ على طريقه، واستُشهد أحمد ياسين، فقرأ الميدان على العدو سورة "يٰس"،واستُشهد هنية، فجاء من بعده السنوار، وباستشهاد السنوار ستحطَّم الأسوار الحامية للعدو الغدار.

ويا خيبة، ويا خسارة، وحقارة المتخاذلين المطبعين مع بني صهيون، والله غالبٌ على أمره.

هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[الأحزاب:٥٦] اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الأب وفضله

الحمد لله له الحمد في الأولى والآخرة، أحمده وأشكره على نعمه الباطنة والظاهرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، هدى بإذن ربه القلوب الحائرة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه نجوم الدجى والبدور السافرة، والتابعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

حديثنا اليوم عن: شخصية هي سبب وجودك في الحياة بعد الله، وما أنت إلا بَضْعة منه، إنه عمود البيت، ورب الأسرة، وربان السفينة، هل عرفتموه؟ إنه الأب، مصدر القوة والأمان لأولاده الصغار، ومصدر الأنس والبركة لأولاده الكبار.

إنه الأب: وحده من يمنح بلا حساب، ووحده من يسهر ويتعب ويكد ليجعل من حياة أبنائه جنة، إنه الأب يحمل همّ أبنائه في صحوه ومنامه، يشقى لأجلك، ويتعب لراحتك، يتألم لمرضك، ويحزن لتعبك، يُسرّ بصحتك، ويفرح لعافيتك.

عباد الله، عندما نتحدث عن الأب فإننا نتحدث عن السند الحقيقي الذي يعطي بلا مقابل، والحنان الصادق الذي يتدفق بلا حدود.

أبوك أغلى من الروح والدم، وأعذب ما ينطق به الفم، أبوك لن يكرره الزمن مرتين.

أبوك قد لا يخبرك أنه يحبك، لكنه يفعل كل شيء يبرهن حبه لك!

أبوك هو الأمان الذي لا يعوض، والركن الذي لا يسد مسده أحد، فلا الخال ولا العم ولا حتى الأخ يحل محله.

أبوك هو واسطة العقد بينك وبين الله، وهمزة الوصل بينك وبين رضاه، فتمسك بأبيك جيدًا، فوالله إذا فقدته فقدت الطعم الحقيقي للحياة.

إذا كانت الأم قدمتك للعالم، فالأب قدم العالم كله بين يديك.

إذا كانت الأم منحتك الحياة، فالأب علمك كيف تعيش في هذه الحياة.

إذا كانت الأم حملتك في بطنها تسعة أشهر، فأبوك حملك مع أمك على ظهره العمر كله.

إذا كانت الأم تتأكد دائمًا أنك لست جائعًا، فأبوك يعلمك كيف لا تجوع.

إذا كانت الأم تحميك من السقوط، فأبوك يعلمك كيف تقوم من السقوط.

إذا كانت الأم مدرسة، فأبوك مديرها ومؤسسها وسبب وجودها.

إذا كانت الأم هي منبع الحنان، فإن الأب هو منبع الأخلاق والأمان.

سُئلت بنت: ما الأمان؟ قالت: حذاء أبي على باب البيت، فهو أماني وعزي وفخري وكرامتي.

الأب هو الذي بذل حياته كلها ليمهد لك الطريق، يأخذ من نفسه ليعطيك، ويقطع من جسده ليفديك، أوامرك مطاعة وطلباتك مجابة. والله لو عرفنا القيمة الحقيقية للأب لقبلنا الأرض التي يمشي عليها. والله ما الشيب والألم والضغط والسكر إلا لتنعموا وتفرحوا بما أنتم فيه.

أخي الحبيب، عليك أن تعي جيدًا أن دعوات الأب لك هي من يسحب بساط الشر من تحت قدميك، ويؤلّف الناس من حولك، وتتسابق أيادي الخير عليك لتخدمك مثلما خدمته.

ذات يوم ستدخل إلى بيتك، ستناديه، لن تسمع صوته، ولن تشعر بحنانه وأنفاسه وبركاته ودعائه، إذا استغل وجوده.

إنك ببرك بأبيك تسمو إلى أعلى مرتبة يريدها الله لك، هي مرتبة الرضا، فرضا الله من رضا الوالدين، كما قال ﷺ:

"الوالِدُ أوسطُ أبوابِ الجنةِ، فإن شئتَ فأضِع ذلك الباب أو احفَظه" [رواه الترمذي (١٩٠٠) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٦٦٣)].

إن الأب هو عماد البيت، فإن صح العماد فقد صح أساس الأسرة بأكملها. الأب هو تلك الشمعة التي تحترق لتنير للآخرين الطريق. من منا يستطيع تسديد فواتير وديون الأب؟ والله نعجز. لا نستطيع أن نجازي الآباء مهما فعلنا، ففي صحيح مسلم:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**» [رواه مسلم (١٥١٠)].

استغلوا وجوده، استغلوا دعواته ببره وطاعته وخدمته. أيها المسلمون، طاعة الأب ليست سنة ولا مستحبة فقط، بل هي واجب وفرض، ويقول الله تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء:٢٣]

أيها المسلمون، لا أحد يعلم قيمة الأب تمامًا إلا من فقده، ولا يعرف الأبناء مقدار التعب والجهد الذي يبذله آباؤهم إلا بعد أن يصبحوا آباءً وأمهات.

الأب أكبر من كل الكلمات، وأعظم من جميع العبارات، وأروع الهدايا من الله هو حب الأب. فمن كان له أبٌ على قيد الحياة، فليحسن صحبته، ويتقرب منه، ويطلب رضاه، ويضعه تاجًا على رأسه، لأن الأب لا يعوض.

أيها الحبيب، إذا مات أبوك ودفنته ورجعت من المقابر، فاعلم أنك قد دفنت آخر إنسان كان كل همه أن يراك أسعد مخلوق على وجه الأرض، وكل مر سيمر إلا مرارة فقد الأب.

أيها المسلمون، للأب حق البر والتكريم مهما بلغ سنه، ويتحتم ذلك ويزداد عند كبر سنه وشيخوخته، قال الله تعالى:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣]

للأب حق الإحسان والطاعة، وتحقيق ما يتمناه، وله حسن الصحبة والعشرة، والأدب في الحديث، وحسن المعاملة، إن تحدث فلا تقاطعه، وإن دعاك فأجبه، ولا تمش بين يديه، وحيّه بأحسن تحية، وقبّل رأسه ويديه ولو قبلت رجليه فهو من البر، وتلزمك النفقة عليه في حال الحاجة، ولا تنسى أن تتحفه بالهدية في حال غناه.

فعن جابر بن عبد الله ﷺ، أن رجلاً قال:

"يا رسول الله، إن لي مالًا وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي"، فقال رسول الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك».[رواه ابن ماجه وصححه الألباني]. (ويجتاح) أي يستأصله.

أيها الأحبة: مهما كان الأب قاسيًا أو مقصرًا أو حتى كافرًا، فالإحسان إليه والبر به واجب.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ».

قيل: من يا رسول الله؟

قال: «مَنْ أَدْرَكَ والِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

[صحيح مسلم، الرقم: ٢٥٥١].

نتكلم عن الأب وحقوقه وفضله، يوم كسرت بعض البيوت هيبة الأب، يعتمدون عليه في المال فقط ومتطلبات الحياة "هات هات" فقط، ولا يحترم ولا يقدر وقد لا يطاع ولا يخدم. قد تجد في البيت ثلاثة أو أربعة شباب، لكن الأب الكبير هو الذي يخدم نفسه ويقوم ويتحرك. أين البر؟

كم يتألم الإنسان وهو يرى بعض الآباء في حاجة وعوز وفقر وابنائه في خيرٍ وسعة.

كم من ابن ساءت علاقته بأبيه، وربما لم يرَ أباه أيامًا وربما شهورًا وربما -عياذًا بالله- سنين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

وبعد.. أيها الإخوة:

عباد الله، البر والعقوق دين، كما تفعل بأبيك يفعل بك أولادك. جاءني قبل سنوات رجل قد شاب رأسه ورق عظمه بعد صلاة الجمعة وقال: "لا يدخل الجنة عاق".

بر الآباء، عباد الله، لا ينتهي بعد موتهم، فمن كان له أب تحت التراب، فليكثر من الدعاء له، وليبرّه في موته مثلما كان في حياته، وليكثر من الصدقات على روحه، ويدخل الفرح عليه، فالميت يفرح ويستأنس بالدعاء والصدقة.

الابن الذي يدعو دائمًا لوالده الميت نشهد لهذا الابن أنه من الصالحين. والدليل على ما أقول ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، قال عليه الصلاة والسلام :

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[صحيح مسلم، رقم: ١٦٣١].

عباد الله، يقول أحدهم:

كنت موظفًا في إحدى الشركات، وقدمت استقالتي، فأعطوني حقوقي(٣٢٠٠) دينار.

يقول: استلمت المبلغ، ولا أملك غيره طوال حياتي.

يقول: لما رجعت إلى البيت كان الوقت قبل حج عام(١٤٢٤ هـ) ، لما دخلت البيت أخبرت والدي بهذه المكافأة من العمل، فقال لي والدي ووالدتي: نريد أن تدفع هذا المبلغ لأجل أن نحج.

يقول: دفعت المبلغ، ووالله ما أملك غير هذا المبلغ.

وبعد أسبوعين، ولما رجعت إلى عمل آخر، قال: فاتصل علي مدير الشركة السابقة، وقال: فيه مكافأة ولابد أن تأتي تستلمها.

لاحظ الآن لا يملك شيئًا، وكل المبلغ صرفه لوالديه في الحج.

يقول: ذهبت إليهم توقعت مبلغًا يسيرًا؛ لأني لم أتوقع أن لي مكافأة.

ثم دخلت على المدير، وأعطاني الشيك، وإذا فيه(٣٢٠٠)دينار. يا عجبًا والله... لقد دفع لوالديه فأتيه نفس المبلغ بعد أيام.

نعم، أنفق على والديك، وسيأتيك الرزق من حيث لا تحتسب. ومن يتق الله يجعل له مخرجًا. أليس البر بالوالدين من التقوى؟ أليس الإنفاق عليهم من أعظم الأعمال إلى الله ﷻ؟ هذا.

أخي، كم دعاء دعوت الله فلم يستجب لك؟ لماذا لم يستجب لك؟ لعلك عاقٌّ لوالديك، لعلك بخلت على أبيك أو أمك بمبلغ مالي، لعلك رفعت عليه صوتك يومًا من الأيام، فالله ﷻ لم يجب لك ولن يستجب لك.

فالداعِي قاطع الرحم، وعاق والديه محجوب.

عباد الله، إن من أعظم صور العقوق للأب أن تتكبر عليه إذا كبرت، أو ترفع صوتك عليه، أو تظهر له الملل من كلامه أو كثرة وصاياه، أو أن تقدم زوجتك أو أصحابك عليه في الاهتمام والبر.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣]

الأب -يا عباد الله- ليس مجرد رجل في حياتك، بل هو تاريخك وجذورك، هو الذي ضحى براحته وسعادته ليصنع منك إنسانًا ناجحًا، هو الذي يفرح بنجاحك أكثر من فرحك، ويحزن لفشلك أكثر من حزنك.

وقد أمرنا النبي ﷺ ببر الوالدين في حياتهما وبعد وفاتهما، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله، هل بقي عليَّ من بر والدي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: "**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**" [رواه أبو داود (٥١٤٢) وابن ماجه (٣٦٦٤) وصححه ابن حبان].

وإذا كان الله قد أمر ببرهما، فقد وعد بالأجر العظيم لذلك، فقال سبحانه:

﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

أيها الأحبة في الله، إن من العقوق الصامت أن تنشغل عن أبيك بعملك أو هاتفك أو أصحابك، وهو ينتظر منك كلمة طيبة، أو جلسة ودية، أو ابتسامة حانية، فاحرص على أن يكون لك معه وقت خاص، تسمع فيه حديثه، وتستفيد من خبرته، وتريه أنك تفتخر به أمام الناس.

وتذكر -يا عبد الله- أن عقوق الأب باب من أبواب العقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، فقد قال النبي ﷺ: "كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات" [رواه الحاكم (٤/ ١٧٧) وصححه، ووافقه الذهبي].

عباد الله، ومن صور البر بالأب أن تدعو له في حياته وبعد وفاته، وأن تحسن إلى أصدقائه وأرحامه، وأن تنفذ وصاياه في غير معصية الله، وأن تتصدق عنه، وأن تحفظ اسمه ومكانته بين الناس.

قال رسول الله ﷺ: "إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي" [رواه مسلم (٢٥٥٢)].

فاللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا، وارزقنا برهم في حياتهم وبعد وفاتهم، واجعلنا من البارين المحسنين، واغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية، فقد أمركم الله بذلك فقال عز من قائل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

[الأحزاب: ٥٦]

الأم القلب الحنون (١)

الحمد لله جعل التقوَى خيرَ زاد، أحمدهُ - سبحانه - وأشكرُه، والشكرُ حقٌّ واجبٌ له على كلِّ العباد، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ولا نظيرَ ولا أنداد،

يا رب:

رضاك خير من الدنيا وما فيها *** يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي *** خير إلي من الدنيا وما فيه

وأشهدُ أن سيِّدنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه، شفيعُ المُوحِّدين يومَ التناد،

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِه ذوي البرِّ والتُّقَى والرشاد

والله ما في الخلق مثل محمدٍ *** في الفضل والأخلاق والعرفانِ

فهو النبي الهاشمي المصطفى *** من خيرة الإنسان من عدنان

ماذا يقول الواصفون لأحمد *** بعد الذي قد جاء في القرآن

أما بعد: فاتَّقُوا الله - عباد الله - وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، وراقبوا الله في السر والنجوى، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

مضى رجل من اليمن من أسلافنا إلى بيت الله الحرام يقطع الفيافي والقفار، قد اغبر وجهه، وشعث شعره، وتتابعت أنفاسه، وبلغ به الجهد مبلغه، إذا قطع مرحلة وقف، وألقى الحمل عن ظهره، وجعل يلتقط أنفاسه مليًا، حتى إذا ما استرد إليه نَفَسُه، وهدأت نَفْسُه حمل حِمله على ظهره، وسار ميمّمًا إلى بيت الله الحرام.

لم يكن حمله ذاك زادًا ولا طعامًا، ولا متاعًا، وإنما كان هذا المحمول هي أمه التي ربته، فأحسنت تربيته حتى غدا رجلاً بلغ من بره ما رأت.

وصل الرجل البار حاملا أمه البيت الحرام، فطاف بالبيت سبعًا، وهي على ظهره. فرآه ابن عمر صاحب رسول الله ﷺ وهو يقول:

"إني لها بعيرُها المذَلَّلُ، إن أُذْعِرَتْ رِكَابُها لمْ أُذْعَرْ، اللهُ ربي ذُو الجلالِ الأكبرِ، حَمْلتُها أكثرَ مما حَمَلتْنِي، فهل تُرى جازيتُها يا ابنَ عمر؟ بما حملت وبما أرضعت"

نظر إليه ابن عمر، فرأى وجهًا شعثًا، وجهدًا مظنّياً، لكن أنى لابنٍ أن يجزي أماً؟ عندها قال ابن عمر للرجل:

"لا ولا بزفرة واحدة، ولا بطلقة واحدة من طلقات الولادة".

قيل أن ألم الولادة يعادل كسر (٤٢) عظمة. لا إله إلا الله المرأة وهي تعاني وتصرخ من ألم الولادة تتردد في أسماعنا تلك الآية: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم:٢٣]

فجأة نسمع صوت صراخ ذلك الطفل الذي تذوقت تلك المرأة الموت من أجله، لقد خرج الآن إلى الدنيا ليُقر عينها ويشد على عضدها. ثم أتت تلك اللحظة.

لحظةٌ نشعر فيها أن الزمن توقف، وأن كل شيء حولنا ساكن حتى أنفاسنا ونبضات قلوبنا.

إنها لحظة أن جيء بذلك الطفل لأمه كي تراه، فإذا بدموعها تنهمر بمجرد أن نظرت إليه.

لماذا بكت لرؤيته فرحًا ولم تبك لآلامها؟ إنها الأم.

نعم إنها الأم، وما أدراك ما الأم، لا توفّيها الكلمات، ولا ترفعها العبارات، وإنما محلّها سويداءُ القلب وكفى به مستقراً.

قال رجل لعمر بن الخطاب:

"إن لي أمًّا بلغ منها الكبر، أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية (أي أنه يحملها إلى مكان قضاء الحاجة)، فهل أديت حقها؟" قال عمر:

"لا؛ لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تفعله وتتمنى فراقها".

إنها الأم الحنون تحملت المشقةِ، والألمِ والنصبِ، وهي تَحمِلُ جَنِينَها في أحشائِها تسعةَ أشهرٍ، ذلك الحملُ الذي أقضَّ مضاجِعها، وأسهرَ ليلها، وأوهنَ قواها، تسعةُ أشهر كأنها الدهر كله، وهي ما بين إعياء وإغماء، وكرب وبلاء.

إنها الأم... مطعم إذا جعت... مستشفى إذا مرضت... منبه إذا نمت... دعوات سماوية إذا غبت... فهل يا ترى بها أحسنت..! ووصينا الإنسان بوالديه.

إنها أمك يا عبد الله: كم حزنت لتفرح، وجاعت لتشبع، وبكت لتضحك، وسهرت لتنام، وتحمّلت الصعاب في سبيل راحتك.

إنها الأم قلب ثان، ينبض لك، وعروق ترويك من ظمأ المشاعر المفقودة في الغربة، ومن كان له أم تعيش على هذه الأرض، فهو في نعيم مقيم.

إنها الأم! المخلوق الضعيف الذي يعطي ولا يطلب أجرًا، ويبذل ولا يأمل شكرًا.

إنها الأم مهما بلغت يا عبد الله من العمر، مهما كنت ذو سلطان، مهما تحملت من المسؤوليات تبقى الأم ملجأك، تأتي إليها بهموم الدنيا فبدعوة منها ينشرح صدرك، وبدعوة منها يزول همك، وبلمسة حانية على شعرك تشعر براحة عجيبة تملأ قلبك، لا إله إلا الله.

إنها الأم التي لو خيرت بين موتها وحياتك اختارت حياتك بأعلى صوتها، إنها الأم التي لو أغضبتها نهارًا دعت لك ليلاً.

إنها الأم! طُوبى لمن خَفَض لها الجناح، وحرِص على خِدمتها كلما غدا أو راح، وقابَلها ببشاشة كل مساء وصباح.

إنها الأم التي وصَّى بها المولى -ﷻ- وجعل حقها فوق كل حق إلا حقه، وجعل شكره سبحانه مقرونًا بشكرها، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان:١٤]

أمك، ثم أمك، ثم أمك، قالها المصطفى -ﷺ- ثلاثًا لمن سأله من أحق الناس بحسن صحابتي. فاحسن صحبته، واحسن ضحكته، واحسن جلسته لأمك.

إنها الأم يا من يريد مغفرة الذنوب وستر العيوب، يأتي إلى النبي -ﷺ- رجل، فيقول: أذنبت ذنبًا كبيرًا فهل لي من توبة؟ فقال النبي -ﷺ-:"**هل لك من أم؟" قال: لا. قال: "فهل له من خالة؟" قال: نعم. قال: "فبرها"**[رواه الإمام أحمد وصححه ابن حبان].

يا من تريد رضى رب البريات، وتطلب جنة عرضها الأرض والسموات: دونك مفاتيحها بإحسانك لأمك ورضاها عنك.

هذا رجل من صحابة النبي -ﷺ- يأتي إليه، يحدوه شوقه إلى جنات ونهر، وتتعالى همته لاسترضاء مليك مقتدر، فيمشي إلى النبي -ﷺ- فيقول:

"يا رسول الله ائذن لي بالجهاد؟" فقال له النبي -ﷺ-: "**هل لك من أم؟**" **قال: نعم.**

فقال: "الزم قدمها فثم الجنة".

الإحسان إلى الأم سبب للبركة في الرزق وفي العمر، في وقتٍ قلت فيه البركات، وفي الصحيح:

"**من أحب أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**".[رواه البخاري ومسلم].

وأعظم الصلة صلة الوالدين، وأتم الإحسان الإحسانُ إلى الأم.

عباد الله: تفتح أبواب السماوات، وتجاب الدعوات، لمن كان بارًّا بوالدته، محسّنًا إليها، انطبقت الصخرة على ثلاثة نفرٍ، فدعا كل منهم، وتوسل إلى الله بأرجى عمل عمله، ومنهم رجل كان بارًا بوالديه، ففرج الله عنهم الصخرة ونجوا من الهلاك.

وأخبر النبي -ﷺ- عن أويس القرني: أنه كان مجاب الدعاء، وكان من أبر الناس بوالدته.

نبي الله موسى عليه السلام يدعو الله فيقول: "**يا رب يا رب أرني رفيقي في الجنة**"

أريد أن أعرف من سيرافقني في الجنة؟ فأوحى الله ﷻ إلى موسى:

"يا موسى أول رجل يمر عليك هو رفيقك في الجنة أول رجل"

فانتظر موسى عليه السلام وظل يردد: "من سيمر علي؟ من سيمر عليّ؟" فإذا برجل لا يعرفه موسى وهو لا يعرف موسى عليه السلام، رجل من عوام الناس.

موسى ظن أن الإجابة ستكون نبيًا من الأنبياء أو رجلاً مشهورًا بصلاحه، ولكن هذا الرجل غير معروف. فتبعه موسى عليه السلام يريد أن يرى لماذا هذا الرجل صار رفيقه في الجنة.

يقول: فدخل بيتًا مفتوحًا وقديمًا وجلس أمام امرأة عجوز، وموسى عليه السلام يرقبه من بعيد، فشاهد امرأة عجوز على الأرض جالسة... امرأة كبيرة في السن. فدخل هذا الشاب إليها فسلم عليها...

يقول: فإذا به يجهز طعامها ثم يطعمها لقمة لقمة، ثم يسقيها بالماء، ثم بعد أن رتب البيت ونظف البيت وغسل فم هذه العجوز خرج من البيت.

الرجل لا يعلم أن هذا موسى عليه السلام فسلم عليه موسى وقال له:

"يا فلان من هذه العجوز التي دخلت عندها وأطعمتها الطعام وسقيتها الشراب وغسلتها وفعلت معها كل هذا؟"

فقال هذا الشاب: إنها أمي.

فقال موسى عليه السلام: وهل تدعو لك هذه الأم؟

قال: نعم تدعو لي كثيرًا لكنها لها دعاء لا تغيره،

فقال موسى عليه السلام: وبما تدعو لك هذه الأم؟

قال له: تدعو لي بدعوة واحدة دوماً تقول:

"اللهم اجعل ابني هذا مع موسى ابن عمران في الجنة"

فقال له موسى: أبشر أبشر يا عبد الله فقد استجاب الله دعاءها، وأنا موسى ابن عمران وأنت رفيقي في الجنة. إنها دعوات الأم.

اسألوا من وفقوا في الحياة، ما وفقوا إلا بفضل الله ثم دعوات الأم.

اسألوا من فتح الله عليهم بركات السماوات والأرض، ما فتحت لهم إلا بدعوات الأم ورحلت أمهاتهم وهي عنهم راضية.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أخي الحبيب عبد الله، تخيل في يوم تفقد فيه أمك، في يوم تقف عند قبرها وأنت تودعها وتتمنى لو أنك كنت أمضيت من الوقت أكثر معها، لو أنك أعطيتها من العبارات أجملها، ومن الكلمات أحلاها، ومن الهدايا أفضلها، سيؤنبك ضميرك وأنت واقف على حفرة قبرها.

تودعها وتنظر إلى وجهها، آخر النظرات، آخر اللحظات. هنا أعلم أن ظلمة عظيمة ستنزل على قلبك.

أمك قد رحلت، جنتك قد غادرت الحياة.

ستحن إلى كل دعوة كانت تدعو لك بها، ستحن إلى سريرها ومكان جلوسها، ستحن إلى ملابسها فإذا أمسكت بملابسها وشممت رائحتها التي لربما كانت في كثير من الأحيان معجونة برائحة المطبخ والطعام، ستحن لهذه الرائحة، ستحن لابتسامتها التي ستفارقك في هذه الدنيا.

عبد الله، كل شيء في هذه الدنيا يعوض: الصديق يأتي غيره، الأخ ربما معك الاثنين والثلاثة وقد ييسر الله لك من لم تلده أمك، الزوجة تعوض، الأبناء معك الابن والاثنين والثلاثة، إلا الأم إذا رحلت فإنها لا تعوض.

إياك أن تظن أن أحدًا سيملا مكانها، إياك أن تفضل شخصًا عليها.

إنها الأم التي إن دخلت إليها دخلت إلى جنة، وإن قبلت قدمها ولزمت قدمها أُتممت الجنة، كما قال ﷺ: **"الجنة تحت أقدام الأمهات"**[رواه النسائي وأحمد، وصححه الألباني].

فاحذر أن تكون عاقًا لها.

احذر أن تنظر إليها نظرة لا تليق أو كلمة لا تليق، ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣]

عبد الله، إن من العقوق أن يمر عليك اليوم واليومان وأنت ربما تدعو لنفسك ولأولادك وتنسى أن تدعو لوالديك.

إن من العقوق أن تخصص يومًا في العام لأمك وتنساها باقي العام.

احذر احذر أن تفضل زوجتك عليها، ولو فعلت أمك ما فعلت، ولو نشب بينها وبين زوجتك أي خلاف فوظيفتك في هذه الحالة وظيفة الإطفائي يطفئ النيران بينهما، ولا يقوم مع أحدهما على الآخر.

حديثنا عن الأم لم ينته بعد.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

❁ ❁ ❁

الأم القلب الحنون (٢)

الحمد لله المستحق للحمد والخشية، المتفرّدِ بالجبروت والعزة والعظمة، سبحانه كلَّ يومٍ هو في شأن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الديّان، أنزل من الحكمة والبيان ما تخشع له القلوب وتقشعر الأبدان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد ولد عدنان، أرسله الله تعالى بالهدى والحق والفرقان، أكملُ وأجلُّ من خشِيَ الواحدَ الديّان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي التقى والعرفان، ومَن تبعهم بإحسانٍ في كل وقت وآن.

أمّا بعد:

أوصيكم ونفسي المقصّرة أولاً بتقوى الله، وطاعته، وخشيته، ومراقبته في السر والعلن.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر:١٨]

أيها الكرام:

ما زال الحديث عن الأم نبع الحنان. الحديث عن الأم حديث ذو شجون، ومهما قيل أو يقال عنها فلن يوفيها حقها.

هل يوجد شخص في العالم يستطيع أن يوصلك للفوز بالجنة؟!

إنها الأم التي تعطيك ما لا يستطيع أحد أن يعطيك إياه.

إنها الأم التي ضحكت لك كثيرًا:

أول ضحكة لها يوم بُشِّرت بك، وثاني ضحكة يوم رفستها في بطنها، وثالث ضحكة يوم خرجت سليمًا رغم أنك قطعت أحشاءها، ورابع ضحكة يوم رأَتك نائمًا قرير العين بين يديها، وألف ضحكة بعد ذلك عاشتها معك.

إنها نبع الحنان الذي لا ينضب، وسيل المشاعر الذي لا يتوقف.

غذاؤك منها ومن دمها، عندما كُنتَ في رحمها، كان الحبل السري يسحب دمها إليك، فكانت تصاب بالأمراض فلا تتناول العلاج؛ خشية أن تؤذيك، وتنام على الجنب الذي يريحك، ولما خرجت انقطع هذا الحبل، ففجّر الله لك نبعَين من الحليب من صدرها، باردين في الصيف، دافئين في الشتاء.

هي الوحيدة التي تعرف أنك جائع من نغمة بكائك، ومن حركة الحليب في صدرها. كم هرست لك الأكل لتتلذذ به! كم عضَضتَها فألمتها، فضحكت لك! وكم وكم من المشاعر!

قلب الأم أعظم قلب: تأمّل هذا الوصف المؤثر لردّ قلب الأم على ابن قتلها من أجل المال:

أَغرى امرؤٌ يومًا غلامًا جاهلًا *** بنقوده كيما ينالَ منه الوطر

قال ائتِني بفؤادِ أمّك يا فتى *** ولك الدراهمُ والجواهرُ والدّرر

فمضى وأغرزَ خنجرًا في صدرِها *** والقلبَ أخرجه وعاد على الأثر

لكنّه من فرطِ سرعتِه هوى *** فتدحرجَ القلبُ المعرّى إذ عثر

ناداه قلبُ الأم وهو معفّر *** ولدي حبيبي هل أصابَك من ضرر؟

اللهم ارحم أمهاتنا وآباءنا أحياءً وأمواتًا، وارزقنا برّهم حيًّا وميتًا، يا رب العالمين.

البر بالأم:

البر بالأم مفخرة الرجال، وشيمة الشرفاء، وقبل ذلك كله هو خلق من أخلاق الأنبياء.

قال تعالى عن يحيى عليه السلام ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم:١٤]

وقال عيسى عليه السلام ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم:٣٢]

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال:

«استأذنتُ ربي في أن أستغفرَ لها فلم يؤذن لي، واستأذنتُه في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكّر الموت» (رواه مسلم، ٩٧٦).

البر بالأم مطلوب طوال عمرها، لكن البر يكون أوجب إذا كبرَت، ورقّ عظمها، وارتعشت أطرافها، وكثرت أمراضها. في هذه الحال من العمر، لا تنتظر صاحبة المعروف والجميل من ولدها إلا قلبًا رحيمًا، ولسانًا رقيقًا، ويدًا حانية.

طوبى لمن أحسن إلى أمه في كبرها!

طوبى لمن شمّر عن ساعد الجدّ في رضاها!

قال الله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣]

فيا عبد الله:

تخلّق بالذل بين يديها بقولك وفعلك:

لا تنادِها باسمها، بل نادِها بلفظ الأم؛ فهو أحب إلى قلبها.

لا تجلس قبلها.

قابلها بوجه طلق، وابتسامة وبشاشة.

تشرف بخدمتها، وتحرَّ حاجاتها.

إن طلبت فبادر أمرها.

وإن مرضت فقُم عند رأسها.

أبهج خاطرها بكثرة الدعاء لها.

حاول دائمًا أن تدخل السرور على قلبها.

ولا تشكُ لها همك وألمك، فإنها تتوجع أكثر منك.

قدّم لها الهدية، وزفّ إليها البشائر.

وإن كنت بعيدًا عنها فأكثِر من الاتصال بها، وأبلِغها شوقك إلى لقياها، ولا ترفع صوتك عليها وأنت تخاطبها.

روى ابن وهب عن أبي هريرة ﷺ: أن أمه نادته يومًا فقالت: "يا أبا هريرة"، فأجابها بصوت عالٍ من غير قصد: "لبّيك"، ثم تذكّر أن صوته أرفع من صوتها، فقال: "أستغفر الله، رفعت صوتي على أمي"، فذهب إلى السوق واشترى عبدين فأعتقهما، تقرّبًا إلى الله تعالى.

عباد الله، إن طاعة الأم والسهر على راحتها من أعظم القربات عند الله.

وهذا محمد بن المنكدر من التابعين يقول:

بتّ ليلة كاملة أغمز رجل أمي، وبات أخي عمر يصلّي، ووالله ما يسرّني ليلته بليلتي.

إنه البر، يا أهل البر.

احذر من تغيّر قلبك على أمك

عبدَ الله، احذر ثم احذر من أي إنسان كائنًا من كان أن يغيّر قلبك على أمك، وكل كلمة تُنقل إليك عنها فألقها خلف ظهرك.

أيها المؤمنون، أهمس في أذن كل زوجٍ منع زوجته أن تتصل بأمها أو بأهلها: اتقِ الله، فأنت تريد من زوجتك كل شيء، فكيف تحرمها من برّ أمها وصلة أهلها؟!

صور العقوق المؤلمة

مع ما سمعنا عن فضل الأم وعظمتها وعطفها وحنانها وبركتها، ما زلنا نسمع ونرى من صور العقوق ونكران الجميل والقسوة الرهيبة ما لا يتحمّله عقل ولا قلب:

شاب تخلّص من أمه المعاقة برميها عند باب أحد المستشفيات.

آخر يطرد أمه طاعةً لزوجته.

أم تقول: لي ابن ثلاث سنوات، والله ما سلّم عليّ.

آخر يُسمع أمه كلمات السب والشتائم إذا تكلّمت في زوجته أو عصت أمرها.

قال الله تعالى:﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].

يأتي رجل وزوجته، وأمه تحمل ولده، ليشتروا ذهبًا.

يقول بائع الذهب: دخلت الزوجة وأخذت ذهبًا بعشرين ألف ريال، والأم أخذت خاتمًا بسيطًا، فسدد الابن قيمة ذهب زوجته، فلما قيل له: بقي ثمن خاتم أمك، انفجر غاضبًا وقال: كبار السن لا يحتاجون إلى الذهب!

فأعادت الأم الخاتم ولسان حالها يقول: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]

خرجت تحمل ولده تريد السيارة، وكأن زوجته أنبته على هذا الفعل، وقالت: "من يمسك لنا ابننا؟ أعطها الخاتم." فأعطاها إياه، فرمته وانفجرت تبكي قائلة: "والله لا ألبس ذهبًا في حياتي أبدًا، حسبي الله ونعم الوكيل!"

سُئل الحسن البصري رحمه الله: ما دعاء الوالدين للولد؟ قال: "نجاة".

قيل: فعليه؟ قال: "استئصاله"، يعني الهلاك.

مسكينٌ أنتَ أيها العاق!

تنام ملء جفنيك، وقد تركت والدين ضعيفين يتجرعان من العقوق غصصًا.

ونسيت أو تناسيت أنك مُمهل لا مُهمل، فعاقبة العقوق مُعجّلة لصاحبها في الدنيا قبل الآخرة.

في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه (٤٢١١) وأحمد في المسند (٥/ ٣٦)، يقول النبي ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**».

فكيف ترجو توفيقًا وقبولًا، والله قد أعرض عن العاق؟

وفي الحديث الذي رواه النسائي (٢٥٦٢) من حديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يدخلون الجنة**»، وذكر منهم: «**العاق لوالديه**».

يقول أحدهم: زُرت أخًا لي في الله، فقال لي: إن والدة جارنا قد ماتت، وسيصلى عليها اليوم في الجامع الكبير، فهل ترغب بالذهاب معي؟

قلت: نعم، وهل يكره الإنسان فعل الخير؟

يقول: صلينا على الجنازة، ثم تبعناها إلى المقبرة، وهناك عند القبر كان رجل يبكي بكاءً شديدًا.

قلت: من هذا؟

قال صاحبي: هذا ابنها.

قلت: ألهذه الدرجة كان يحبها ويبر بها؟

قال: لا، بل هي دموع الندم! لقد ماتت ولم يرها منذ ثلاث سنوات، وقد لبثت في المستشفى عشرين يومًا، وكانت تطلب رؤيته ولم يأتِ، وماتت ولسان حالها يقول:

"قلبي على ولدي انفطر، وقلب ولدي عليّ مثل الحجر".

هكذا نحن، لا نعرف قيمة الشيء حتى نفقده!

وأقسم بالله العظيم، بعد وفاة الأم وهداية الابن العاق، يتمنى هذا الابن أن تخرج أمه رأسها من قبرها ليقبلها ويقول:

"أماه سامحيني، أماه سامحيني"، ولكن بعد فوات الأوان.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عبد الله، احذر دعوة المظلوم، فإنه «ليس بينها وبين الله حجاب»

(رواه البخاري ٢٤٤٨ ومسلم ١٩).

فإن الله يرفعها فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب:

«وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

فكيف إذا كان المظلوم أمًّا أو أبًا؟

قال كعب الأحبار: "إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقًا لوالديه، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارًّا بهما ليزيده برًّا وخيرًا.

ويقول أحد المشايخ:

جاءني رجل وهو يلعن أمه، فنهيته عن ذلك، ثم سألته: ما ذنبها؟ وما جرمها؟ وما هي خطيئتها؟

قال: عملت سحرًا لزوجتي، قلت: كيف عرفت أنها هي؟

قال: زوجتي أخبرتني بذلك، وهي (الأم) تنكر ذلك.

قلت: عجبًا! تصدق زوجتك وتكذب أمك؟!

يقول الشيخ: فطلبت رؤية أمه، فجاء بها ابنها الأكبر، وجمعت بينهم، وكثر النقاش، وطال الحوار، ونفسي تحدثني أن الزوجة كاذبة.

سمعت من الأم أيمانًا وبكاءً حارًّا يدل على صدقها، وأصرت الزوجة أن لا تقبل اليمين إلا في بيت الله الحرام.

فقلت لهم بعد إصرار الزوجة: اذهبوا إلى بيت الله الحرام.

ثم طلبت رقم هاتف الابن الأكبر، واتصلت به بعد يومين، فقال:

ذهبنا لبيت الله الحرام، ودعت أمي على نفسها إن كانت فعلت، وتضرعت إلى الله أن ينتصر لها من ابنها وزوجته إن كانت مظلومة.

ثم عدت بأمي ودموعها على خدودها، فلما وصلنا، وجدنا الخبر أمامنا في بيتنا: أن أخي وزوجته ماتا على إثر حادث في الطريق!

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم:٤٢] فكيف إذا كان المظلوم أمًّا أو أبًا؟

أيها المؤمنون، اعلموا رحمكم الله أن بر الوالدين لا ينتهي بموتهما.

فعن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبويّ شيء أبرّهما بعد موتهما؟

قال: «نعم: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما». (رواه أبو داود ٥١٤٢، وابن ماجه ٣٦٦٤، وصححه الألباني).

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

عشر ذي الحجة فُرص لا تعوّض

الحمدُ لله مُعزّ من أطاعه واتقاه، ومُذل من خالف أمره وعصاه.

وفّق أهل طاعته للعمل بما يرضاه، وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه. أحمده سبحانه على حلو نعمه ومر بلواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه. وهو الذي في السماءِ إله وفي الأرض إله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه ومصطفاه، فطوبى لمن والاه وتولاه. اللهم صلّ على محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وكان هواهم تبعاً لهداه. وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله:

اتقوا الله -ﷻ- حق تقاته، وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته، ونافسوا وسابقوا للفوز بجناته، فوالله لن ينفع الإنسان بعد مماته إلا ما قدم من الصالحات، والقربات في حياته.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر:١٨]

عباد الله: كل مصائب بالدنيا تهون، إن فقد الإنسان ماله يهون، إن فقد أهله يهون، لكن المصيبة العظمى والدامية الكبرى مصيبة الموت. سماها الله مصيبة أن يتمنى الإنسان تسبيحاً واحدة فلا يقدر، صدقةً واحدة فلا يقدر، وحيل بينهم وبين ما يشتهون.

لو سألنا أهل القبور ماذا تتمنون، سيقولون جميعاً: نرجع يوماً واحداً من هذه الأيام نعبد الله فيها.

كأنّي أسمع صرخة من قبر لشاب مات أو فتاة ماتت يمر عليهم عشر ذي الحجة وهم تحت التراب، كأنّي أسمعهم ينادون ويصرخون:

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٤]

إغلاق صحيفة الأعمال من الحسَنات والعمل مصيبة،

﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦]

عداد الحسنات توقف.

أيها المؤمنون، ما زالت الفرصة سانحة والروح في الجسد، فالغنيمة الغنيمة.

بين أيدينا خير أيام الدنيا، بين أيدينا أفضل أيام السنة، إنها عشر ذي الحجة.

عشرة أيام وتصبح من أغنى الناس بالحسنات.

عشرة أيام وتزاحم الناس على حوض رسول الله ﷺ.

عشرة أيام وتغفر كل ذنوبك وتبدل سيئاتك حسنات.

عشرة أيام من الدعاء المستجاب والعتق من النار.

قال رسول الله ﷺ:

"ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله وأزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير يعمله العبد في عشر الأضحى" (حسنه الألباني)

يعني أفضل وأعظم وأحب صلاة فجر ستصليها طوال السنة.

يعني أفضل جلسات ضُحى وتلاوة قرآن وذكر لله وصيام وصدقة وبر ستفعلها طوال السنة.

هذا الكلام ليس مبالغة.

اسمع هذا الحديث العظيم:

"أفضل أيام الدنيا أيام العشر" [رواه ابن حبان].

وصف النبي ﷺ هذه الأيام بخمسة أوصاف لم يقلها في غيرها من الأيام:

قال:"بابي وأمي: **إنها أحب الأيام إلى الله، وأفضل أيام الدنيا عند الله، وأعظم أيام الدنيا عند الله، وأرجى أيام الدنيا عند الله، وأزكى أعمال الدنيا."**

صدق أو لا تصدق: إنها فرصة لكسب حسنات تعادل ثواب من أنفق كل ماله وحياته وروحه في سبيل الله. إليك الدليل من فم الحبيب ﷺ، فعطر فمك بالصلاة عليه القائل:

"ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام" [رواه البخاري].

قال الصحابة: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال:

"ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء."

كان حقاً لهم أن يتعجبوا، لأن النبي ﷺ أخبرهم أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، وأن حارثة أصاب الفردوس الأعلى بسبب سهم أصابه أثناء الجهاد، وجعفر بن أبي طالب يطير في الجنة بسبب الجهاد في سبيل الله. هنيئاً لإخواننا في غزة جهادهم وثباتهم وتضحياتهم، يا الله افراحنا بنصرهم.

قال: "ولا الجهاد في سبيل الله يعني جهاد النافلة، جهاد الطلب، أما جهاد الدفع فهو فرض عين، ولا يعدله شيء إلا رجل خرج ولم يرجع."

ذاك هو المنافس الوحيد.

صدّق أو لا تصدّق، ثواب اليوم الواحد يعادل سنة من الأيام الأخرى، ويوم عرفة يوازي سنتين.

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:

"كان يقال في أيام العشر: بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفة بعشرة آلاف يوم."

وروي عن الأوزاعي أنه قال:

"بلغني أن العمل في يوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله، يصام نهارها ويحرس ليلها، إلا أن يختص امرؤ بالشهادة."

ويقول ابن رجب رحمه الله:

إن مضاعفة حسنات فرائض العشر الأوائل من ذي الحجة أعظم عند الله من مضاعفة حسنات فرائض رمضان، وأن مضاعفة حسنات نوافل العشر الأوائل من ذي الحجة أعظم عند الله من مضاعفة حسنات نوافل رمضان.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: **أن الحسنة في عشر ذي الحجة بسبعمائة ضعف، يعني الحسنة بسبعمائة حسنة، وصفحة القرآن بسبعمائة صفحة قرآن، والتسبيحة بسبعمائة تسبيحة، وصلاة الضحى بسبعمائة ضحى، والمكث في مصلاك من الفجر حتى صلاة الشروق بسبعمائة حجة وعمرة تامة.**

وثواب قراءة صفحة قرآن أعظم من ثواب ختمة قرآن في غير عشر ذي الحجة.

حرف من القرآن بعشر حسنات تضاعف سبعمائة ضعف، فيكون الحرف في تلك الأيام بسبعة آلاف حسنة.

ويقول قتادة رحمه الله: صيام يوم في عشر ذي الحجة يعدل عند الله أجر سنة.

عباد الله:

لكي تفوز بهذه الأيام أمامنا صفقات رابحة ومشاريع عظيمة ومنها:

المشروع الأول: ختمة في العشر كل يوم ثلاثة أجزاء.

صدق أو لا تصدق، روى عن ابن عباس ﷺ أن ثواب الحسنة في هذه الأيام بسبعمائة ضعف، معنى هذا أن ثواب تلاوة صفحة واحدة من القرآن في هذه الأيام بثواب سبعمائة صفحة القرآن في غيرها من الأيام.

القرآن روح الحياة وحياة الروح، القرآن دواء التغيير وصيدلية الشفاء من أمراض النفوس والقلوب.

القرآن هو الرفيق المخلص والصاحب الذي لن يتركك حين تحتاج إليه، ولن يتركك في الدنيا، ولن يتركك في قبرك، ولن يتركك في الحر الرهيب يوم القيامة حيث تأتيك البقرة وآل عمران كأنها غمامتان سوداوان أو كأنها ظلتان من طير صواف يجادلان عن صاحبها.

لن يتركك حتى في الجنة حين يقال لك: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا.

المشروع الثاني: مشروع الذكر.

قال ﷺ:

"ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، فهو خير عمل، وأزكى عمل، وأطهر عمل، وارفعها في درجاتكم."

وهو العمل الأرفع مقاماً ودرجة، وهو العمل الأثمن والأغلى والأنفس من إنفاق الذهب والفضة والأموال الطائلة.

إنه العمل الأفضل من ضرب أعناق العدى جهاداً في سبيل الله.

وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، إنه ذكر الله.

ذكر الله هو معيار الصدق الذي يثبت أنك تحبه، وتثبت أنك لم تنسه، أنك لم تنشغل عنه بغيره منشغل بمناجاته.

هذا هو أصل معنى كلمة ذكر: لن أنساك يا الله، لن يفتر لساني عن ذكرك ولن يغفل قلبي عن مناجاتك.

إنها عشر الذكر ولهذا قال ﷺ: **"فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير."**

هذه العشر هي أيام الثأر من الشيطان بذكر الله، ولذا كانت الجمار التي يرميها الحجاج سبعون جمرة يرجمون بها الشيطان بالجمرات وهم يكبرون الله، ونحن هنا نرجمه بالتكبير والتهليل وسائر الأذكار.

اثأر من شيطانك بالذكر في هذه الأيام.

المشروع الثالث: إحياء سنة التكبير.

لقد ورد الأثر الصحيح بأن عبد الله بن عمر وأبا هريرة كانوا يخرجون إلى الأسواق يكبرون ويُكبر الناس لتكبيرهم، كأنهم يريدون من الكون كله أن يكبّر الله ويعظم الله معهم.

هذه الأيام فرصة عظيمة لإحياء سنة التكبير في أنفسنا وفي الناس من حولنا.

فلنكبر الله على كل أحوالنا، قياماً وجلوساً وعلى جنوبنا، فلنكبره ركباً ومشاة، فلنكبره سرّاً وجهراً، ليلاً ونهاراً.

المشروع الرابع: لبيك ربي.

إنه مشروع الاستجابة الفورية.

مشروع ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه:٨٤]

إنها نفسية الحاج الذي لبى نداء الله بالحج قائلاً: لبيك اللهم لبيك، قادم إليك، مسارع إلى رحابك، تارك كل شيء خلفه ومقبلاً عليك.

يا الله وفقنا للحج والعمرة.

ولمن لم يحج عليه أن يلبي نداء الأذان: حي على الصلاة، حي على الفلاح، بمجرد سماع النداء تقولها بقلبك: لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك، والخير بيديك.

جرّب أن تدع كل شيء في يديك فور سماع النداء، وتسارع للتلبية.

جرّب وستشعر بفارق عجيب، وإقبال مختلف، ومشاعر عارمة، وتعلنها صريحة بفعلك قبل قولك أن لا شيء أهم من إجابة نداء مولاك.

حينئذ ستجد نفسك جاهزاً للمشروع التالي وهو وليمة كل صلاة.

المشروع الخامس: وليمة كل صلاة.

قال رسول الله ﷺ: "من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح." [صحيح مسلم]

إنها وليمة كل صلاة. تخيل لو قيل لك إن وليمة حقيقية فاخرة تنتظرك كلما نزلت إلى الصلاة، هل كنت تتخلف؟

إن وليمة الصلاة في المسجد والتبكير بها تمتلئ حقائبها صنوف الطيبات:

ثواب ترديد الأذان، ثواب الوضوء وتقاطر الذنوب عنك، ثواب سؤال الوسيلة للنبي ﷺ لتحل لك شفاعته يوم القيامة، ثواب المشي إلى المسجد وحط الخطايا ورفع الدرجات بكل خطوة تخطوها، ثواب الدعاء بين الأذان والإقامة، ثواب السنن القبلية التي تضمن لك بإذن الله بيتاً في الجنة.

فلنجعل هذه الأيام فرصة لإدراك تلك الولائم.

المشروع السادس: حجة في بلدك.

قال رسول الله ﷺ:

"من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة." [صحيح الترمذي]

إنها جلسة الضحى، موعد المحبين ومنتدى المسبحين وروضة الذاكرين الشاكرين.

إنها البشرى في عموم الأيام طوال العام، فما بالك بأيام المضاعفة، أيام العشر.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المؤمنون:

المشروع السابع: من مشاريع العشر المباركة ستمائة وثلاثون سنة حجاباً عن النار.

قال رسول الله ﷺ: **"من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً."**

[صحيح] أي مسيرة سبعين عاماً.

إن استطعت صيام التسع فافعل، وإن لم توفق، يوم عرفة لا يفوتك.

المشروع الثامن: مشروع القناطير المقنطرة.

وهذا المشروع خاص بأصحاب الملايين، اعمله ولو مرة في العاشر، أو مرة في الشهر، أو مرة في السنة، أو مرة في العمر.

قال رسول الله ﷺ: **"ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين."** [صحيح]

وما القنطار؟

القنطار قيمته = سبعون ألف دينار ذهب.

والدينار = أربعة جرامات وربع من الذهب.

أي أن القنطار قيمته = ٢٨٠,٠٠٠,٠٠٠ جرام (بحسابات الدنيا البسيطة).

وليس في الجنة مما في الدنيا إلى الأسماء والموضع سوط في الجنة خير من ما فيها.

ألف آية في قيام الليل تجعلك من أصحاب الملايين، تجعلك من أثرياء الحسنات. جزء عم وتبارك ألف آية.

وإن لم تستطع فبمائة آية تكتب بهن من القانتين كما صح عن الصادق الأمين.

فإن لم تستطع فليس أقل من عشر آيات، لم تكتب بهن من الغافلين.

المشروع الحادي عشر: مشروع قصور الجنة بصلاة اثنتي عشرة ركعة تطوعاً من غير الفريضة.

قال ﷺ: **"من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة، بنى الله له بيتاً في الجنة."** [صحيح مسلم]

ركعتان قبل الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد العشاء، وركعتان بعد المغرب.

ولا تنسى سورة الإخلاص التي من قرأها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة. [صحيح الجامع].

حكم أخذ الشعر والأظفار في العشر الأوائل:

موضوع الحلق محل خلاف بين العلماء، فقد اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال:

- مذهب أبي حنيفة وروي عن مالك أن الأخذ من الشعر والأظفار إذا دخل العشر لمن أراد التضحية مباح، غير حرام ولا مكروه.
- مذهب الشافعي وروي عن مالك أنه مكروه غير حرام.
- مذهب أحمد وإسحاق أنه حرام ويأثم فاعله.

ألا وصلوا ـ عباد الله ـ على رسول الهدى محمد عليه الصلاة والسلام، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

اسق حديقة فلان

الحمد لله الذي أحصى كل شيء عددًا، ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قِدَدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، أكرم به عبدًا سيّدًا، وأعظم به حبيبًا مؤيّدًا.

صلَّى عليك الله يا بدر الدجى *** ما قال عبدٌ في التشهّد: أشهد

فخري من الدنيا بأنّي مسلمٌ *** والوحي شرعي والنبيُّ محمّد

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء، صلاةً وسلامًا خالدًا مؤبدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

حياكم الله وبياكم، وجعل الجنة مثواي ومثواكم، وشرح صدوركم للموعظة، ونوّر قلوبكم بالإيمان. آمين، آمين.

حديثنا اليوم عن قصة من مشكاة النبوة، حدثنا بها النبي المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى.

القصص - كما قيل - جند من جنود الله، يرسلها على من يشاء من عباده، فيأخذوا منها العظة والعبرة والفائدة.

ولهذا، بعد أن ذكر الله قصة يوسف عليه السلام، ختم تلك القصة بقوله سبحانه:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١]

وقال تعالى:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠]

ما أجمل أن نعود إلى قصص القرآن والسنة بعدما اشتغلنا بقصص الشرق والغرب، والأفلام والمسلسلات.

قصص القرآن هي الحق وفيها العبرة والموعظة، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران:٦٢]

والنبي ﷺ لا ينطق إلا بالحق.

بين أيدينا قصة تُخبرنا عن مزارع صالح، برزت فيه صفات الكرم والسّخاء والجود. مزارع قهر في نفسه الطبيعة البشريّة القائمة على الشحّ والإمساك، وتخطّاها في سموّ إيمانيّ رفيع.

إنها قصة تلك السحابة، التي أُمِرَت فسقت أرضًا معينة لرجل مُعيّن، ثم ولّت دون أن تسقي غيره.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ...»

الله أكبر! إنه لأمر عجيب وغريب، لمشهد مهيب:

رجل يمشي في صحراء لا ماء فيها، ولا أصوات، سكون تام... ثم يسمع صوتًا غريبًا!

من أين يأتي هذا الصوت؟! ثم يعود الصوت مرة أخرى: «اسقِ حديقة فلان».

فيرفع بصره إلى السماء، فإذا بالصوت يأتي من السحابة نفسها!

صوت داخل السحاب يقول: اسقِ حديقة فلان. فإذا بالسحاب يتحرك ويتجه نحو جهة معينة.

قال النبي ﷺ: «فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ»

والحَرَّة: الأرض المكسوة بالحجارة السوداء.

«فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ»

الشرجة: مسيل الماء بين الصخور.

فإذا بها تستوعب الماء كله!

سبحان الله اندهش الرجل مما يجري فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ [يريد أن يعرف نهايته إلى أين]، حتى وصل الماء الى حديقة بستان فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي تلك الحَدِيقةِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ [يُرتِّب دخول الماء إلى أرضه بآلته!]، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟! قَالَ: فُلَانٌ - لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟!

ماذا تفعل حتى يُسخّر الله لك ملَكا يقود السحاب الى ارضك خصيصا من دون كل الأراضي في مكان يندر فيه الماء ماذا تصنع فيها

قال: أما إذ علمت هذا؛ فإني أنظر إلى ما يخرج منها (المحصول)،فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه.

وفي رواية: وأجعل ثلثًا للفقراء والمساكين وابن السبيل.

لاحظوا: يتصدق بالثلث، والثلث كثير، وعليه العشر فقط، لكنه كريم، والله أكرم منه.

نعم، على قدر ما تنفق مما تحب، يعطيك الله عطاءً عجيبًا، قال تعالى:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران:٩٢]

لن تصل المنازل العالية عند الله حتى تنفق مما تحب: من مالك، من وقتك، من علمك.

أخي الحبيب: إذا رأيت السحاب فاعلم أنه مأمور بأمر الله القائل:

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾﴾ [الذاريات:٢]

وإذا رأيت الشمس والقمر والكواكب، فاعلم أنها لا تتحرك إلا بأمر الله القائل:

﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء:٣٣]

سبحان من يرزق من يشاء بغير حساب! فهذا الرجل المتصدق رُزق بأمرين:

١) رزق من ماء السماء.

٢) رزق من يخبره بما يدل على مكانته عند الله.

لا إله إلا الله! ما هذا الشرف والمكانة عند الله، حتى يسخر له ملكًا يسوق سحابة خصيصًا إلى أرضه!

وما هذه المكانة حتى يُذكر اسمه في السماء: «اسق حديقة فلان»؟

بسبب ماذا يا عباد الله؟ إنها الصدقة.

وما أدراكم ما الصدقة؟! منبعُ البركة، جالبةُ النعمة، دافعةُ النقمة، إنها التجارة التي لا تحتمل الخسارة، أرباحُها لا تعرف إلا الزيادة!

لأنها مع الله الكريم العظيم سبحانه، ألم تسمع قول الله تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١]

إنها الصدقة - أيها الأحبة - لها سر عجيب، بل أسرار عند الله سبحانه، حتى إن الله جعل بابًا من أبواب الجنة الثمانية باسمها، فطوبى للمتصدقين في سبيل الله.

أيها المتصدق، والله إنك إذا أخلصت في صدقاتك ستأتيك سحائب الخير من الله ﷻ، كما وقع لبطل قصتنا اليوم.

سحائب الخير التي تأتي المتصدق

١) سحابة المغفرة

قال ﷺ: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» [رواه الترمذي].

وقال ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب» [رواه الطبراني وصححه الألباني].

٢) سحابة الظل والأمن يوم القيامة

قال ﷺ: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يُفصل بين الناس» [رواه أحمد وصححه الألباني].

وكان أبو الخير - أحد رواة الحديث - لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء، ولو بكعكة أو بصلة.

٣) سحابة الرحمة

قال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» [رواه الترمذي].

٤) سحابة التوفيق

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل:٥]

٥) سحابة المدد والعون:

قال ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم].

٦) سحابة البركة والخلف

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

٧) سحابة الحفظ

قال ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» [رواه الطبراني].

كم حفظ الله من أموال، وكم حفظ الله من أنفس بسبب الصدقة على الفقراء والمساكين واليتامى.

٨) سحابة العافية والشفاء

قال ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة» [رواه البيهقي وحسنه الألباني].

كم سمعنا عن أُناس شفاهم الله من امراض استعصى علاجها على الأطباء وغيره من الامراض بالصدقة وفعل الخير.

ذُكر أن رجلاً سأل عبد الله بن المبارك عليه السلام عن مرض أصابه في ركبتيه منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج وسأل الأطباء فلم ينتفع، فقال له ابن المبارك: "اذهب واحفر بئراً، فإن الناس بحاجة الماء، فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل ذلك فبرأ" [سير أعلام النبلاء، الجزء الثامن، صفحة ٤٠٧)].

عباد الله:

الصدقة لها فوائد عظيمة في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم أو كافر.

الصدقة لها مكانة عند الله.

نعيش اليوم مع هذه القصة النبوية، وأنتم ترون الغلاء والضيق والنزوح والحاجة والفاقة، فيا أتباع محمد ﷺ جودوا على أنفسكم، وليس على الفقراء، لأن الله يقول:

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد:٣٨]

هذا المال الذي تدفعه أنت محتاج إليه في يوم يفر المرء فيه من أخيه، أنت المحتاج.

تفقدوا إخوانكم، تفقدوا جيرانكم.

هذه الصدقة ستكون نورًا في قبرك، نورًا يوم القيامة، حتى تأخذ بيدك إلى الفردوس الأعلى.

هذا الكلام ليس موجهًا للأغنياء فقط، بل لكل الناس، قال ﷺ:

«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا» [رواه مسلم]،

وقال: «اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» [متفق عليه].

عباد الله:

نريد التاجر الذي يبادر فيعلن أنه سيبيع أيامًا برأس المال ليخفف على الناس، فجزاه الله خيرًا.

نريد الطبيب الذي يبادر فيجعل يومًا من أيام المعاينة مجانًا، يقول: يا رب هذا لك، والله سيبارك له.

أعرف تاجرًا له في محله درجين؛ درج له ودرج لله، نحن بحاجة إلى أن نتراحم لتنزل علينا رحمة الله فيصلح أحوالنا، قال ﷺ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» [رواه الترمذي].

عباد الله:

وإذا كان هذا الرجل الصالح قد نال من خير تلك السحابة وبركاتها، فتلك عاجل بشرى في الدنيا، أما في الآخرة فما أعده الله له من ألوان الكرامة أعظم وأعظم.

بل لا يزال المتصدق حيًا يجمع الحسنات وهو ميت ما دامت صدقته جارية، قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» [رواه مسلم].

ولذا هي أوَّل ما يتمناه العبد بعد مماته لو رجع إلى حياته، قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠]

أيها الكرام:

ما معنى قول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: «وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ»؟

أي: برهان على صحة إيمانك ومحبتك لربك.

أخلاق الحبيب: كل ما أخرجته لله فهو محفوظ عند الله، استثمارك في ودائع الله لا تضيع، بل تأتيك بعجائب الأرباح، قال رسول الله ﷺ:

«مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ – وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ – إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ» [متفق عليه].

والفَلُوُّ: ولد الخيل، والفصيل: ولد الناقة.

وعلى هذه الحقيقة الغيبية ربّى النبي ﷺ أصحابه، فقال:

«أَيُّكُمْ مَالُ وارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟»

قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه!

قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، ومَالُ وارِثِهِ مَا أَخَّرَ» [رواه مسلم].

أخلاق الكريم:

تذكر وأنت ترفع إلى فمك اللقمة؛ أن لك أخًا يتضوّر جوعًا، لم يجد ما يأكله.

ويُروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ؛ أَطْعَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَإٍ؛ سَقَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ؛ كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ» [رواه أحمد والترمذي].

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

انتبه إنه رمضان

الحمد لله العزيز الوهاب، الغفور التواب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير والمتاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق خلقه من تراب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود، ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد عباد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله تعالى وطاعته، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون: حل ببابنا ضيف عزيز علينا، لنا عام ننتظره بفارغ الشوق وندعو الله أن يبلغنا إياه، إنه رمضان.

لا إله إلا الله ما أسرع مرور الليالي والأيام، وانطلاق الشهور والأعوام. وصدق النبي العدنان في تقارب الزمان علينا، فأصبحت السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كأنه ساعة، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله. اللهم أحسن ختامنا يا رب العالمين، واجعل خير أعمارنا خواتيمها.

أخي الكريم انتبه، إنه رمضان، حُق لكل مؤمن أن يفرح بهذا الشهر الفضيل. كيف لا يفرح وهو شهر الخيرات والبركات وتكفير السيئات ومحو الخطيئات واستجابة الدعوات والفوز بالجنات؟ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨]

انتبه أخي الكريم إنه رمضان نفحة من نفحات الرحمن، فلله نفحات، فهنيئًا لمن تعرض لها.

عبد الله، انتبه، إنه رمضان، الكون كله يتغير بقدومه. تدبّر معي أيها الحبيب اللبيب قول رسول الله ﷺ، والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا جاء رمضان فُتّحت أبواب الجنة». وفي لفظ مسلم: «فتحت أبواب الرحمة». وفي لفظ الترمذي والبيهقي: «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلّقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب، وفُتّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة حتى ينقضي رمضان».

لا إله إلا الله، فُتحت أبواب الجنة! أقسم بالله: محروم ومخذول من يفتح الله له أبواب الجنة ولا يسابق الأنفاس ليدخلها، محروم من يفتح الله له أبواب الرحمة ولا يزج بنفسه في رحمات الرحمن جل جلاله. فمتى ستدخل هذه الأبواب – أبواب الجنة، أبواب الرحمة – إن لم تدخلها في رمضان بالطاعة والذكر والصيام والقرب من الكريم الوهاب؟

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، لله في كل يوم منه عتقاء من النار، تُرفع في كل ليلة أسماء المعتوقين من النار. محروم من يمر عليه الشهر ولا يعتق من النار. عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى عتقاء في كل يوم وليلة – يعني في رمضان**» [صححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٦٥)].

أخي الحبيب: تذلّل بين يدي ربك في كل ليلة وقل: يا رب، يا حي يا قيوم، يا من يقول للشيء كن فيكون، يا رب اعتق رقبتي في هذه الليلة من النار. وفي الليلة التالية: قل خاشعًا منكسراً ذليلًا: يا رب، إن لم أكن من المعتوقين من النار في الليلة الماضية، فاجعلني الليلة منهم، يا رب. قل: جسدي على نارك لا يقوى، يا رب لا ملجأ منك إلا إليك. وهكذا يا عبد الله، حتى آخر ليلة من رمضان، قف بين يدي ربك وقل: يا رب، اعتقني من النار.

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، الدعاء فيه مسموع، وأبواب السماء مفتحة. قال ﷺ: «إن للصائم عند فطره دعوة ما تُرد». فأعدّ دعواتك من الآن، واكتب حاجاتك وأوجاعك وأمراضك وما تريد من ربك، وأكثر من الدعاء عند الفطر، في السحر، وفي السجود. وابشر، فإن الله لا يخلف الميعاد.

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، شهر الصيام. ومن صام يومًا في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خندقًا، والخندق كما بين السماء والأرض. وللصائمين باب في الجنة لا يدخل منه إلا هم، وهو باب الريان.

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، شهر المغفرة والتطهير من الذنوب. قال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». وقال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». وقال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه الشيخان].

فماذا تريد بعد ذلك يا عبد الله؟ هل هناك فرصة أعظم من هذه الفرصة؟ هل هناك عرض أفضل من هذا العرض؟ إنها الخسارة والله كل الخسارة أن يفوت المرء هذه الفرصة على نفسه ويحرم نفسه هذا الخير العظيم، وهو لا يدري هل يجد فرصة ثانية مثل هذه الفرصة أو لا يجد.

روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له».

أخي الحبيب، انتبه فقد يكون هذا آخر رمضان من عمرك، إن الله أعطانا فرصة عظيمة حُرمها غيرنا ممن فارق الحياة وأفضى إلى ما قدم، وكم من رجل صلى معنا في هذا المسجد في رمضان الماضي، وسمع حديثًا كهذا الحديث عن فضائل رمضان، ثم ها هو الآن موسّد في الثرى يتمنى لحظة يسبح فيها تسبيحة فلا يقدر عليها، ويرجو ثانية ينطق فيها بلا إله إلا الله فلا يجاب رجاؤه. لو كان يعلم أن رمضان الماضي سيكون آخر رمضان في عمره كيف سيكون؟

انتبه يا عبد الله، فبلوغ الشهر نعمة عظيمة. عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رجلان من بني قضاعة أسلما على عهد رسول الله ﷺ، فاستُشهد أحدهما وأُخّر الآخر سنة، فقال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي أو ذُكر ذلك للنبي فقال: «أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف وكذا ركعة (صلاة سنة)» [رواه أحمد]. وهذا يعني أن صيام رمضان واحد يجعل العبد يسبق الشهيد! الله أكبر.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

عبد الله، انتبه إنه شهر رمضان، شهر القرآن. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، كان جبريل ينزل إلى الحبيب ﷺ يخترق السبع الطباق ليدارسه القرآن. ولهذا كان الصالحون من أسلافنا وعلماؤنا يتركون كل العلوم ويتفرغون للقرآن وتدبر القرآن والعيش مع القرآن.

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان شهر الجود والإنفاق. كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، فلا تنسَ إخوانك الفقراء والمساكين والمحتاجين، فالصدقة في رمضان مضاعفة، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، ومن فطّر صائمًا فله مثل أجره.

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فهو المحروم، ومن عبد الله فيها وقامها كانه تعبد ثلاثًا وثمانين سنة. ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر:١]

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، والله والله لو أدركنا قيمة رمضان ما ضيّعنا لحظة من لحظاته.

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان أيّامًا معدودات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة:١٨٤]

إنها أيام معدودات، ما أسرعها وما أعجلها، وعند الديّان ما أغلاها. وليس رمضان فقط أيام معدودات، بل حياتنا كلها أيام معدودات: يوم بعد يوم، شهر بعد شهر، سنة بعد سنة، وتأتي ساعة الموت.

أخي الحبيب، انتبه إنه رمضان، فاستعد له بقلب صافي سليم، وتوبة صادقة، وعزم مبارك على الصيام والقيام، وخطة محكمة لاغتنام رمضان. فالإعداد للعمل علامة التوفيق وأمارة الصدق في القصد، كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ [التوبة:٤٦]

عدِّد النيات الصالحات لتفوز بالخيرات، واعزم على صلاة التراويح كاملة طوال الشهر، وعلى صلة الأرحام والصدقات، وحدد كم ستقرأ من القرآن والآيات، فإن قدّر الله عليك مرضًا أو سفرًا أو حتى موتًا كتب الله لك أجر ما نويت، ثم إن العون من رب البريات ينزل على قدر النيات.

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، لتفوز به صاحب ذوي الهمم العالية، واترك الكسالى. قال ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» [رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني]، وقالوا: "الصاحب ساحب". وقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان:١٥]

فليكن شعارك: "أريد معينًا على الخير".

انتبه يا عبد الله، إنه رمضان، شهر القيام، شهر التراويح. الله الله في صلاة القيام «التراويح»، فكما أن شهر رمضان شهر الصيام، فهو كذلك شهر القيام. وقال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه الشيخان]. وقال ﷺ: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» [رواه أهل السنن].

عباد الله، انتبهوا إنه رمضان. حافظوا على صيامكم مما يخل به أو يفسده من الأعمال السيئة والأقوال الآثمة، فاحفظوا أسماعكم عن سماع ما حرّم الله من قول الزور والغيبة والنميمة، واحفظوا أبصاركم عن رؤية ما حرم الله، فإن النظر سهم مسموم من سهام إبليس، واحفظوا ألسنتكم من قول الزور وشهادة الزور والغيبة والنميمة والشتم والسباب، فإن سابك أحد فلا ترد عليه بالمثل بل قل: إني صائم.

فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فقط، بل هو إمساك كذلك عن كل ما حرم الله.

عباد الله، لا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

لا تستبدلوا الوقوف أمام الله في القيام والتراويح والصلوات بالوقوف أمام المسلسلات والمسابقات والسهرات.

لا تستبدلوا المكث في المساجد وحلق الذكر والصلوات بالمكث في الأسواق والتنقل بين المحلات.لا تستبدلوا كلام الرحمن والملك المنان بالمعازف والألحان.

لا تستبدلوا تحريك الأصابع بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير بتحريك الجوال والصفحات والمواقع، هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

أعمال ثوابها كقيام الليل

الحمد لله الذي خلق الخلق فأبدعه، وسنَّ الدين وشرعه، ونوَّر النور وشعشعه، وقدَّر الرزق ووزعه، وأجرى الماء وأنبعه، وجعل السماء سقفاً مرفوعاً رفعه، والأرض بساطاً وضعه.

من الذي سأله شيئاً فمنعه؟ ومن الذي طرق بابه فرجعه؟ ناداه يونس وهو في ظلمات البحر فسمعه، واستجاب لأيوب حينما دعاه يشكو إليه وجعه. سبحانه ما أعلى مكانه وأرفعه، وأعز سلطانه وأمنعه، يؤتي ملكه من يشاء وممن يشاء نزعه، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته، ولا مبعثر لما جمعه.

أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ولا ند له، ولا إله معه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صفيه من خلقه، وأمينه على ما استودعه، صلى الله عليه وعلى آله وجميع أصحابه، خصوصاً الخلفاء الأربعة، ومن سار على هديه وامتثل سنته، وعلى جميع من اتبعه.

أوصيكم ونفسي بتقوى الله.

عباد الله، هل يستوي من ينام ملء جفنيه ويغفل مع الغافلين مع من هو قانت آناء الليل؟ لا يستويان. هل يستوي من نام طوال ليله بلا صلاة ولا ذكر مع من يستغفر ويسبح، يركع ويسجد، يتلو آيات الله، تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ إنه قيام الليل، إنه وصية رب العالمين لنبيه الأمين ﷺ:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩]

ها هي وصية جبريل الأمين للصادق الأمين ﷺ: "**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت...**"[ورواه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ١٠٢١٣) قال الألباني: حسن (انظر السلسلة الصحيحة للألباني، حديث رقم ٨٣١)]. [واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل. وها هي وصية النبي ﷺ لعبد الله بن عمر: "**نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل.**"[رواه البخاري ومسلم].

عباد الله، إننا بحاجة إلى ركعات، ولو خفيفات، في جوف الليل نستر بها ما اقترفناه من الذنوب، ونلين بها ما قسا من القلوب.

عباد الله، إن لقيام الليل شأناً عظيماً عند الله ﷻ، فأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل. قال عنها النبي المصطفى ﷺ: "**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم**" (حسنه الألباني).

أخي الحبيب، هل تحب أن تكسب أجر قيام ليلة كاملة؟ ألا ترغب أن تُكتب عند الله من القائمين؟

اليوم سأدلك على أعمال، إن فعلت أحدها كتب الله لك أجر قيام ليلة وأنت نائم:

أولها التسبيح: قال رسول الله ﷺ: "**من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يقاتله، فليكثر من سبحان الله وبحمده، فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله**" (واه الطبراني في المعجم الأوسط (رقم ٥٠٠٤).ورواه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ٤٧٩).)].

ومن الأعمال التي تعادل قيام الليل:

ثانياً: أداء صلاة العشاء والفجر في جماعة:

عن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، ومَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ والْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ) [رواه مالك والدارمي].

لذلك ينبغي الحرص على أداء الفرائض في المساجد جماعة، وألا نفوتها البتة لعظم أجرها، خصوصاً العشاء والفجر، فهما أثقل الصلوات على المنافقين. ولو يعلمون ما فيهما من أجر لأتوهما ولو حبوا كما أخبر النبي ﷺ. ومن ثوابهما أن لكل واحد منهما ثواب قيام نصف ليلة.

ثالثاً: أداء أربع ركعات قبل صلاة الظهر:

عن أبي صالح رحمه الله تعالى مرفوعاً مرسلاً أن النبي ﷺ قال:

(أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ يَعْدِلْنَ بِصَلاَةِ السَّحَرِ) [حسنه الألباني في السلسلة].

ومن مزايا هذه الركعات أنها تُفتح لها أبواب السماء، لما رواه أبو أيوب الأنصاري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

(أربع قبل الظهر تفتح لهن أبواب السماء)[حسنه الألباني في صحيح الترغيب].

ولهذا كان النبي ﷺ يحرص على أدائها، وإذا فاتته لأي ظرف طارئ قضاها بعد الفريضة.

رابعاً: أداء صلاة التراويح كلها مع الإمام:

عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ) [صححه الألباني].

مسكين من يحرم نفسه هذا الأجر العظيم، الذي قال فيه النبي ﷺ:

(مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) [رواه مسلم].

رمضان على الأبواب، فلا نفرط في صلاة التراويح. لا تستعجل بالخروج منتصف الصلاة، بل اصبر لأجل الله، ليُكتب لك أجر قيام ليلة كاملة.

خامساً: قراءة مئة آية في الليل:

عن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(مَنْ قَرَأَ بِمِئَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ) [صححه الألباني].

القرآن حاضر في كل باب من أبواب الفضائل، فهو روح الحياة وحياة الروح.

وقراءة مئة آية لا تستغرق أكثر من عشر دقائق، ويمكن تحقيقها بقراءة أول أربع صفحات من سورة الصافات مثلاً، أو قراءة سورة القلم والحاقة، أو سورة الواقعة.

وإذا فاتك قراءتها بالليل فاقضها بين الفجر والظهر، لما رواه عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال:(مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الْفَجْرِ والظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّهُ قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)[رواه أحمد ومسلم].

سادساً: قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في الليل:

عن أبي مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ :

(مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ) [رواه أحمد والبخاري].

قال النووي: قيل معناها كفتاه من قيام الليل، أو من الشيطان، أو من الآفات، ويحتمل جميعها.

إن قراءة هاتين الآيتين أمر سهل جداً ومعظم الناس يحفظونهما، فحري بالمسلم أن يواظب على قراءتهما كل ليلة.

سابعاً: حسن الخلق:

عن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ) [رواه مالك وصححه الألباني].

الإسلام ليس دين شعائر فحسب، بل دين أخلاق ومشاعر.

وحسن الخلق: طيب الكلام، وبسط الوجه، وفعل المعروف، وكف الأذى.

وصاحب الخلق الحسن من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة، كما روى جابر ﷺ أن النبي ﷺقال:

(إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) [صحيح الترغيب].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

عباد الله: من الاعمال التي تعدل قيام الليل:

ثامناً: السعي في خدمة الأرملة والمسكين:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ والْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) [رواه البخاري].

خدمة الأرملة والمسكين، وقضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم عمل عظيم يعدل القيام والجهاد.

تاسعاً: المحافظة على آداب الجمعة:

عن أوس بن أوس الثقفي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وابْتَكَرَ، ومَشَى ولَمْ يَرْكَبْ، ودَنَا مِنَ الإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ ولَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ؛ أَجْرُ صِيَامِهَا وقِيَامِهَا) [رواه أحمد وصححه الألباني].

خطوة واحدة إلى الجمعة، تُعادل صيام وقيام سنة كاملة. فكيف بمن فرّط وتخلف حتى لا يحضر إلا بعد صعود الخطيب المنبر؟!

عاشراً: النية الصالحة قبل النوم:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ قال:

(مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عز وجل) [حسنه الألباني].

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

أعمال ثوابها يعدل الحج

الحمد لله لم يزل عليّا، ولم يزل في علاه سميّا، قطرة من بحر جوده تملأ الأرض ريّا، نظرة من عين رضاه تجعل الكافر وليّا، الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًا و النار لمن عصاه ولو شريفًا قرشيًا، واشهد ان لا اله الا الله أنزل على نبيه ومصطفاه قولاً بهيًا ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم:٦٣]

الشمس والبدر من آيات قدرته *** والبر والبحر فيض من عطاياه

الطير سبحه والوحش مجده *** والموج كبره والحوت ناجاه

والنمل تحت الصخور الصم قدسه *** والنحل يهتف له حمداً في خلاياه

والناس يعصونه جهرا فيسترهم *** والعبد ينسى وربى ليس ينساه

اللهم استرنا فوق الارض واسترنا تحت الارض واسترنا يون العرض عليك

اللهم احسن عاقبتنا في الامور، اللهم وفقنا لحج بيتك الحرام وأصلي وأسلم على نبينا محمد صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، سيد ولد آدم ولا فخر.

إذا ما شئت في الدارين تسعد *** فأكثر من الصلاة على محمد

وإن شئت القبول في الدعوات *** فتختم بالصلاة على محمد

وإن كانت ذنوبك ليس تُحصى *** تُكفّر بالصلاة على محمد

فما تتضاعف الحسنـــــات إلا *** بتكرار الصـــلاة على محمد

وعند المـــــــوت ترى أمورًا *** تسّرك بالصـــلاة على محمد

وعند القـــبر تحظى بالأمـــانى *** وترحم بالصـــلاة على محمد ﷺ.

عباد الله: أُوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله واتقوا يومًا ترجعون فيه الى الله.

اليوم عباد الله:

هو آخر يوم من إيام الحج، وكلنا شوق ولهفة الى تلك البقاع المباركة هناك تُسكب العبرات، وتُستجاب الدعوات، وتتقطّع النفوس شوقًا إلى مغفرة رب البريات.

إلى عَـــرَفاتِ اللهَ يا خَـيرَ زائـــرٍ *** عَلَيكَ سَلامُ اللهَ في عَرَفـاتِ

أنا لستُ في الحُجّاجِ يا ربّ الورى *** لكنّ قلبـي بالمحبّةِ كبـــرّا

لبّيكَ ما نبَضَ الفؤادُ وما دعا داعٍ *** وما دمْعٌ بعين قد جـــــرى

لبّيكَ أعلِـنُها بكُـــلِّ تذَلُّـــــلٍ *** لبيكَ ما امتلأتْ بها أمُّ القُرى

لبّيكَ يا ذا الجودِ ما قلبٌ هفَا *** للعفوِ منكَ و بالخضوعِ تدثَّـــرا

انتهى مَوسمُ الحج ويعود الحجاج إلى أهليهم بالخير الكثير والفوز الكبير قول النبي ﷺ: ((الحجُّ يَهدِمُ ما كانَ قَبلَه)) [رواه مسلم]. وقوله ﷺ:((مَن حَجَّ للهِّ، فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ كيَوْمِ ولَدَتْهُ أُمُّه)) [متفق عليه]. وقوله ﷺ: ((الْعُمْرَةُ إلى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، والْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ)) [متفق عليه].

هذه عطايا عظيمة!. ولكنَّ فضلَ الله لا ينتهي؛ وعَلِمَ سُبحانه أن ليس كلُّ واحدٍ منا قادرًا على الحجّ في كل عام؛ فلذلك وهبنا من الأعمال الصالحة ما يعطينا ثواب الحج ونحن ها هنا في بلادنا.. وإذا الكريمُ لك وهب؛ لا تسألنَّ عن السبب.. ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١]

سنعيش، وإياكم مع اعمال صالحة ثوابها يعدل الحج الى البيت العتيق.

خُذْها نفائسَ أعمالٍ مُعَطَّرةً *** بِها تَنالُ ثوابَ الحجِّ إكراما

ستة اعمال:

أوّلُ هذه الأعمال: النّيةُ الصادقة، نعم: ((إنّما الأعمال بالنيّة)) [متفق عليه] فكم بلغ القاعدون المعذورون مِن الثواب مِثلَ ما بَلَغَهُ العامِلون -وربَّما سَبقوا-؟! وليس ذلك إلا لِصدق النيّة وصحة القصد..

يا راحلين إلي البيت العتيق لقد *** سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وعن قدر *** ومن أقام على عذر فقد راحا

وهذه بشارةٌ عظيمة؛ جاء في مسندِ أحمدَ وسُننِ ابنِ ماجه والترمذي، وصححه الألباني مِن حديث أبي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنّما الدُّنيا لأربعةِ نَفَر: ...)) وذكر منهم: ((وعبدٌ رزقهُ اللهُ عِلمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادقُ النية، يقول: « لو أنَّ لي مالاً لَعمِلتُ بِعَملِ فلان » فهو بِنِيّتِه، فأجرُهما سواء!)).

فلا تفوّت على نفسك أن تنويَ في قلبك؛ كلّ عملٍ صالحٍ لا تستطيع فعله كغيرك...

الله أكبر! بمجرّد نيّةٍ صادقةٍ في القلب؛ يُبلِّغكَ اللهُ بفضله ثوابَ الحجّ!

حتى الشهادة قال ﷺ: ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه)).

ثاني هذه الأعمال: شهودُ مجالس العِلم في المساجد تَعلُّمًا أو تعليما، فعن أبي أمامةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حَجَّتُهُ)) [رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني]. ومن صور التّعلم في المسجد: حضورك لِلحَلَقات القُرآنيّة، والمحاضرات الايمانية، سماعُكَ للإمام إذا ألقى موعظة بعد الصلاة، شهودُكَ لِخُطبةِ الجُمعة كما أنتم الآن، كلُّ هذا -إن شاء الله- داخل في باب التعلّمِ في المسجد.. فيصبّر الإنسان نفسَهُ لِدقائق، ويحتسبها حجَّةً عند الكريم الرازق..

ثالثُ هذه الأعمال: شهودُ الفرائض، جماعةً في المساجد، فعن أبي أُمامةَ رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: ((مَن مَشَى إلى صلاةٍ مكتوبةٍ في الجماعة فهي كحَجَّة، ومَن مشى إلى صلاةِ تطوُّعٍ فهي كعُمرةٍ نافلة)) [رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني]. وفي رواية أخرى: ((مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا، إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى [يعني صلاة الضحى]؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ)) [رواه أبو داوُد وحسّنه الألباني].!

هنيئًا لمن اعتاد الصلاة في المساجد.. والله! لو لم يكن في صلاة الفرد في البيت إلا الحِرمانُ مِن هذا الثواب؛ لكفى به مِن غبنٍ وفوات!

تأتي تصلّي الفريضة جماعة: لك حجَّة! تأتي تصلّي الضحى: لك عُمرة! فيا خسارة المفرطين.

أمّا رابعُ هذه الأعمال: فهو أداءُ الفجر جماعةً في المسجد، ثم الجلوس لِذكر الله حتى تطلعَ الشمس، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ)) وقت مبارك يبدأ بركعات وسجدات ثم أذكار الصلوات وتلاوات وتأملات وتسبيح لرب الارض والسماوات، وتختم بركعات معطرة بالدعوات؛ ليفوز العبد بأجر حجةٍ وعمرة الى بيت رب البريات.

والجميل: أن هذا الثوابَ العظيم، يَعُمُّ المرأةَ في بيتها إذا هي فعلت هذا -بفضل الله تعالى-

أمّا خامسُ هذه الأعمال: غالِبُنا يعرفه، وبعضنُا قد يتركه؛ أتدرون ما هو؟ ذِكرُ الله تعالى بعد الصلاة؛ تسبيحًا وتحميدا وتكبيرا.. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء الفقراءُ إلى النبيِّ ﷺ [تتوقعون لماذا جاؤوا؟ جاءوا يشتكون أن أغنياء الصحابة سبقوهم في الأجور] فقالوا: ذهب أهلُ الدُّثورِ مِنَ الأموالِ بالدرجاتِ العُلا والنعيمِ المقيمِ: يُصلّون كما نُصلّي، ويصومونَ كما نصومُ، ولهم فضلٌ من أموالٍ يحجُّونَ بها ويعتمِرونَ، ويُجاهدونَ ويتصدَّقونَ.. قال ﷺ: ((أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ [يعني بأمرٍ] إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟ تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدُونَ، وتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وثَلاَثِينَ))... يا لله! ما أعظم فضلَ الله.. يعني تصبّر نفسك بعد الصلاة لِلحظات، وتظفر بمثل هذه الكرامات؛ حجٌّ وعمرة وجهاد وصدقة؛.. لكن المشكلة أنّ الشيطان اللعين - لا يزال يزيّن للمصلّي مِن لحظة تسليمه حتى يُخرجه مِن مسجده..

أيُّها الأحبّة: ولكم أن تتأمّلوا.. بأن غالبَ هذه الأعمال الصالحة، التي تَعدِلُ أجرَ الحجِّ والعُمرة؛ إنما كانت مقترنة بالمساجد: "التعلمُ في المسجد، شهودُ الفريضة في المسجد، المكثُ بعد الفجر في المسجد، ذِكرُ الله بعد الصلاة في المسجد..."

كلُّها في هذا المكان المبارك!، جاء في الحديث قوله ﷺ: ((المسجِدُ بيتُ كُلِّ تَقِيٍّ)) [رواه البزّار والطّبراني وحسّنه الألباني]. وذكر النبي المصطفى من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، ((ورجلٌ قلبُهُ مُعلَّقٌ في المسجد)) [كما روى البخاري].

فطوبى ثم طوبى ثم طوبى *** لِقلبٍ قد تعلَّقَ بالمساجِدْ

نسأل الله ان يعلّق قلوبنا بِبُيوته،، يعيننا وإياكم على ذِكرِه وشُكرِهِ وحُسنِ عبادته

أيها الكرام: **سادسُ هذه الأعمال التي تعدل الحجَّ في الثواب: الاعتمارُ في رمضان،** فإنه إذا لم يتيسَّر لك الذهابُ للحج فاجتهد أن تعتمر في رمضان.. فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ النبي ﷺ: ((عُمْرَةٌ في رمضانَ تَقْضِي حَجَّةً، أو حَجَّةً معي)) [متفقٌ عليه]، وهنا تنبيه تَحسُنُ الإشارةُ إليه، أنّ هذه الأعمال تعدل الحجّ في الفضل، لا تُسقط حجَّةَ الفَرض، هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

المال العام وخطورته

الحمدُ لله مُعزّ من أطاعه واتقاه، ومُذلّ من خالف أمره وعصاه. وفّق أهل طاعته للعمل بما يرضاه، وحقّق على أهل معصيته ما قدّره عليهم وقضاه. أحمده سبحانه على حلو نعمه ومرّ بلواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه ومصطفاه، فطوبى لمن والاه وتولاه. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وكان هواهم تبعاً لهداه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله ﷻ حق تقاته، وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته، ونافسوا وسابقوا للفوز بجناته، فوالله لن ينفع الإنسان بعد مماته إلا ما قدّم من الصالحات والقربات في حياتـــــه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨]

أيها المسلمون:

لقد عظّم الإسلام شأن المال وشدّد في أمره، ولهذا قال ﷺ كما في المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها: «من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين». وقال ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة».

فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «**وإن كان قضيباً من أراك**».

لقد تحدَّثَ اللهُ عن المْالِ في ستةٍ وثمانين موضعاً، نصَّ في بعضها صراحةً على وجوب المحافظةِ عليهِ من الضَّيَاع، وحذَّرَ من التعدِّي عليه بأيِّ وجْهٍ من الوُجوه، قال تعالى مُحذِّراً عبادَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾ [النساء:٢٩]

واليوم حديثنا عن حرمة مال المسلمين عامة؛ وهو ما يُعرف اليوم بمال الدولة، أو المال العام.

حديثنا عن المال العام لأن هناك فئة من الناس لبَّس إبليس عليهم، وظنوا أن المال العام حلال، وأنه من حقهم أن يستخدموه في أمورهم الخاصة، وهذا عين الجهل والضلال.

حديثنا عن حرمة المال العام لأننا في زمن وصفه ﷺ، فقَالَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ**» (رواه البخاري).

حديثنا عن المال العام لأننا نرى من يُعيَّن في منصب وهو من الفقراء، وما هي إلا سنة أو سنتان وإذا به من الأثرياء.

ولذلكَ فقد جاءَ الوعيدُ الشَّديدُ فيمن يخوضُ في مالِ المُسلمينَ بغيرِ حقٍّ. قالَ عليه الصلاة والسلام: «إنَّ هذا المالَ خضِرةٌ حُلوةٌ، فمن أصابَه بحقِّهِ بُورِكَ لهُ فيهِ، ورُبَّ مُتخَوِّضٍ فيما شاءَتْ نفسُه مِن مالِ اللهِ ورسولِه، لَيسَ لهُ يومَ القيامةِ إلَّا النَّارُ».

حتى ولو كانَ شيئاً يسيراً حقيراً. تُوفِّيَ رجلٌ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ يومَ خيبرَ، فذَكروا ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «صلُّوا على صاحبِكم». فتغيَّرتْ وجوهُ النَّاسِ لذلك، فقالَ: «إنَّ صاحبَكم غلَّ في سبيلِ اللهِ». ففتَّشنا متاعَه، فوجدنا خرزاً من خَرزِ يَهودَ لا يُساوِي دِرهمينِ.

واستمعوا لخير الورى يحذر في هذا الأمر أشد التحذير. أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: "هَذَا لَكُمْ وهَذَا أُهْدِيَ لِي". فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَطَبَ فَقَالَ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ».

أيها المسلمون،

إذا رأيتَم بلاداً بالمواردِ الطَّبيعيةِ والثروات غنيَّةً، ورأيتَم في ربوعِها الفقرَ والجوعَ، فاعلموا أنَّ هناكَ خللاً في التَّصرفِ بالمالِ العامِ.

إذا رأيتم بلاداً غنية بالمنافذ والموانئ، ولم تستطع أن توفر خدمة الكهرباء والماء والدواء، فاعلموا أن هناك سوء تصرف وخيانة في المال العام.

عباد الله:

قد يسأل سائل: **ما هي مظاهرِ العبثِ بالمالِ العام؟** سنكتفي بثمانية مظاهر:

أولاً: محاباةُ البعضِ في العطاءِ ومنعُ المُحتاجينَ. لا إله إلا الله، حتى المساعدات الإنسانية أحياناً تدخل فيها المحاباة، فيُعطى الأغنياء ولا يُعطى الفقراء.

ثانياً: استغلالُ الأملاكِ العامةِ في المصالحِ الشَّخصيةِ. عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ جاءَه أحدُ الولاةِ وأَخذَ يُحدثُه عن أُمورِ المسلمينَ، وكانوا يستضيئونَ بشمعةٍ بينَهما في اللَّيلِ. فلما انتهى الوالي من الحديثِ عن أمورِ المسلمينَ، بدأَ يَسألُ عمرَ عن أحوالِه. قالَ له عمرُ: "انتظر". فأطفأَ الشمعةَ، وقالَ له: "الآن اسألْ ما بَدا لكَ". فتعجبَ الوالي وقَالَ: "يا أميرَ المؤمنينَ، لِمَ أَطفأتَ الشَّمعةَ؟". فقالَ عُمرُ: "كُنتَ تَسألني عن أَحوالِ المسلمينَ وكُنتُ أَستضيءُ بنورِهم، وأما الآنَ فتَسألني عن حَالي؛ فكيفَ أُخبركَ على ضَوءٍ من مَالِ المسلمينَ؟".

ثالثاً: الإسرافُ في المالِ العامِ وصرفُه في غيرِ محلِّه. ملايين ومليارات تُصرف في أشياء لا تنفع البلاد والعباد.

رابعاً: سرقة الكهرباء والماء من الدولة بحجَّة أنَّها لا تُعطي المواطن حقَّه كاملاً، أو توقيف ساعة (عدَّاد) الكهرباء أو الماء. وهذا لا يجوز حتى لو كانت الدولة كافرة؛ فالله ﷻ يقول:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]

خامساً: المجاملة في ترسِيَة العَطَاءات والمناقصات عمداً على شخصٍ بعينه، مع وجود مَن هو أفضلُ منه.

سادساً: تساهل بعض الناس في صيانة المنشآت الحكومية وعدم العناية بها، حتى تندثر بسرعة، أو تتكلف أموالاً طائلةً للصيانة.

سابعاً: استغلال السلطة بتوظيف الموالي والمناصرين والأقارب على حساب غيرهم، مقابل مصالح شخصية أو مبالغ مالية، وهذا عين الظلم.

ثامناً: تسهيل المعاملات وتخفيض الرسوم في المنافذ والجمارك، على أن يُعطى الموظف أو يوضع في حسابه مبلغ من المال.

معاشر المتقين:

إن الأمر جد خطير، والتهاون فيه ثمنه النار وبئس المصير. أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا (إبرة) فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

أتدرون ما الغلول؟ وما مصيبة الغلول؟ الغلول ولو لشيء يسير قد يذهب بالحسنات العظام، بل حتى بالجهاد في سبيل الله. أخرج البخاري أَنَّ رجلاً في خيبر استشهد، فَقَالَ النَّاسُ: "هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ!". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا**».

لا إله إلا الله... شملة! فكل ما يأخذه المسؤول من مال الدولة أو عن طريق سلطته، إنما هذا غُلُولٌ سيُسأل عنه يوم القيامة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.

أما بعد، عباد الله:

اسمعوا إلى القرآنِ وهو يضعُ حَلاً لضبطِ مالِ المُسلمينَ في آيةٍ واحدةٍ فقط. قالَ سُبحانَه:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٦١]

فجعلَ الحلَّ في أمرين:

الأول: القدوة الحسنة. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾. فالحفاظُ على المالِ العامِ يبدأُ من المسئولينَ. فإذا حفظوا أنفسَهم من الخوضِ فيه، وعلموا أنَّه مالُ المسلمينَ؛ فإنَّك ستجدُ الأمانةَ تسودُ البِلاد. لَمَّا انتصر المسلمون في القَادسية وأرسلوا الغَنائمَ إلى عُمرَ بنِ الخَطابَ ﷺ، وفيها تَاجُ كِسرى وملابسُه المُرصَّعةُ بالجواهرِ، قالَ عمرُ: **"إنَّ قَومًا أدُّوا هذا لأُمناءِ"**. **فأجابَه عليٌّ ﷺ: "إنَّكَ قد عَفَفْتَ فعفَّتْ رعيتُكَ، ولو رَتعْتَ لرَتعوا".**

الأمرُ الثَّاني: التخويفُ بعذابِ الآخرةِ. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. إن السارق من مال الفرد يتحمل إثم فرد واحد يوم القيامة، أما من يسرق من المال العام، فهو يسرق من مالِ المسلمينَ جميعاً، ولذلكَ يأتِي بما غلَّ يومَ القيامةِ فضيحةً له أمامَ الملأِ.

ومن طرق المحافظة على المال العام أيضاً:

ثالثاً: رفع شعار "من أين لك هذا؟" وتطبيق نظام الذمة المالية لمن يتقلد منصباً، فيقدم ما يملكه هو وأولاده ومصادر دخلهم، وبعد خروجه من المنصب يُنظر هل زاد ماله أم لا. تمامًا مثلما حدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، حين قام يخطب وعليه ثوبان، فقام سلمان وقال: "والله لا نسمع ولا نطيع". فتوقف عمر وقال: "ما لك يا سلمان؟". قال: "تلبس ثوبين وتلبسنا ثوباً ثوباً؟!". فقال عمر: "يا عبد الله! قم أجب سلمان". فقام عبد الله بن عمر وقال: "هذا ثوبي الذي هو قسمي مع المسلمين أعطيته أبي". فبكى سلمان، وقال: "الآن قُلْ نسمع، وأمُرْ نُطِعْ".

رابعاً: تولية الناصحِ الصَّادقِ، الأمينِ الشَّريفِ. كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص:٢٦]

قويٌّ في تخصُّصهِ وإدارتِه، أمينٌ في دينِه وأخلاقِه.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦] اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين. اللهم احفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين من الفتن والفساد، ومن التعدي على المال العام والخاص. اللهم ارزقنا الأمانة في القول والعمل، ووفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى، وهيئ لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتعينهم عليه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

الدين وخطورة المماطلة فيه

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحًا لذِكره، وسببًا للمزيد من فضله، جعل لكل شيء قدرًا، ولكل قدر أجلاً، ولكل أجل كتابًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تزيد في اليقين، وتثقل الموازين.

الحمدُ لله باسِطِ العَطاءِ، مُجيبِ الدُّعاءِ، أَحْمَدُه سُبحانَه على السرَّاءِ والضرَّاء، حَمداً يَملأُ الأرضَ والسماء، وما بينهما مما يَشاء. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، المَلِكُ الديَّانُ، ذو الجودِ والإحسان، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩]

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه وصفيه وخليله ورسوله إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله في كل وقت وآن، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فتقواه تكشف كل عسر وكربة، وتجلب كل نعمة ورحمة. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق:٢]

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق:٥]

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين، ومن حزبك المفلحين، وأوليائك الصالحين، يا رب العالمين.

أيها المؤمنون،

روي عن محمد بن جحش قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إلى السماء، ثم وضع راحته على جبهته، ثم قال: «سبحان الله! ماذا نزل من التشديد؟». فسكتنا وفزعنا، فلما كان من الغد سألته: يا رسول الله، ما هذا التشديد الذي نزل؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، لو أن رجلاً قُتل في سبيل الله، ثم أُحيي، ثم قُتل، ثم أُحيي، ثم قُتل، وعليه دَيْن، ما دخل الجنة حتى يُقضى عنه دينه**». (رواه النسائي وحسنه الألباني).

لا إله إلا الله! ما أعظم حقوق العباد عند رب العباد!

عباد الله،

إن المؤمن العاقل المشفق على نفسه يسعى جاهداً على أن يلقى ربه سليم القلب، بريء الذمة من حقوق الخلق؛ لأنه على يقين أن الحساب عظيم، والموقف جليل بين يدي الجبار الذي لا يُظلم عنده أحد، ولا تخفى عليه ذرة، القائل سبحانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠]

وقد ورد في السنة الصحيحة زجرٌ شديد ووعيد مخيف لمن تساهل في حقوق العباد. فلو جئت بملء الأرض خطايا بينك وبين الله، ثم أقبلت على الله، لن يخيبك ولن يردك سبحانه. أما ما بينك وبين الخلق، فلن يُغفر إلا أن يعفو عنك من ظلمت، وإلا أُخذ من حسناتك يوم القيامة.

ومن أعظم ما يشغل ذمة المؤمن، ويثقل كاهله، ويورده المهالك يوم القيامة: الدَّيْن.

الدَّيْن، وما أدراكم ما الدَّيْن؟ همٌّ بالليل، ومذلةٌ بالنهار.

الدَّيْن، وما أدراكم ما الدَّيْن؟ أكبر آية في القرآن هي آية الدَّيْن، أوصانا الله فيها بكتابة الدَّيْن والإشهاد عليه ولو كان قليلاً: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٢]

هل رأيتم فضل الشهيد ومنزلته عند الله؟ الشهيد الذي يُغفر له عند أول قطرة من دمه، ويُؤمَّن من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ومع كل ذلك، لا يدخل الجنة ما دام في ذمته دَيْن حتى يُقضى عنه.

ففي صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ قام في أصحابه فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلت في سبيل الله، تُكفّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدَّيْن، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**».

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**هاهنا أحدٌ من بني فلان؟**» **فلم يجبه أحدٌ. ثم قال: «هاهنا أحدٌ من بني فلان؟» فلم يجبه أحدٌ. فقام رجلٌ فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «إن صاحبكم فلان الميت مأسورٌ بدينه»**. (رواه أبو داود والنسائي).

وفي رواية: «إن صاحبكم حُبس على باب الجنة بدينٍ كان عليه».

يا الله! هل سمعتم؟ ربما كان في حياته يملك أموالاً وعقارات، لكنه استدان ومات ولم يخبر بها. فلا إله إلا الله، كم من أمواتنا محبوسون في قبورهم، محبوسون عن النعيم بسبب ديونهم! فليتق الله من عليه دَيْن أن يكتبه ويوصي أهله بقضائه، وليتق الله الأبناء في والديهم الأموات. قال ﷺ: «فإن شئتم فافدوه (إلى نعيم الله)، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله».

ومن خطورة الدَّيْن أنه ورد أن النبي ﷺ كان يمتنع عن الصلاة على الرجل الذي عليه دَيْن حتى يُقضى عنه. رسول الله كان يصلي على أصحاب الكبائر، لكن أصحاب الديون لا! يا لطيف الطف بنا. جاء في سنن الترمذي: (أن النبي ﷺ أُتي برجل ليصلي عليه، فقال: «صلوا على صاحبكم فإن عليه ديناً». فالنبي ﷺ كانت صلاته شفاعة عظيمة للمؤمنين، ومع ذلك امتنع عن الصلاة عليه، لأن حق المخلوق لا يكفره الاستغفار والدعاء.

بل كان رسول الله ﷺ يستعيذ بكثرة من الدَّيْن، فقال له رجل: يا رسول الله، ما أكثر ما تستعيذ من المَغْرَم (الدَّيْن)؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا غَرِم (استدان)، حدّث فكذب، ووعد فأخلف». (متفق عليه).

أيها الكرام،

هل تعلمون أن من أسباب عذاب القبر الدَّيْن؟ كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (توفي رجل فغسلناه وكفناه، ثم أتينا به رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه؟ فخطا خطوة ثم قال: «أعليه دين؟». قلنا: ديناران. فانصرف (أي أبى أن يصلي عليه).

فقال أبو قتادة: الديناران عليّ. فقال رسول الله ﷺ: «قد أوفى الله حقَّ الغريم وبرئ منهما الميت؟». قال: نعم. فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: «ما فعل الديناران؟». قلت: إنما مات أمس. قال: فعاد إليه من الغد فقال: قد قضيتها. فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت جلدته».

(رواه أحمد بإسناد حسن).

ومع خطورة الدَّيْن، فإن من الناس من يتساهلون فيه:

فمنهم من يقترض في كل مناسبة، ولأي أمر ولو كان من الكماليات، وغالبها من أجل المباهاة والمنافسة. فيا أخي الكريم، لا تقترض إلا لحاجة ماسة ملحة.

ومن الناس من يقترض لكنه يسوّف ويؤخر السداد مع القدرة عليه. ورسول الله ﷺ يقول: «خياركم أحسنكم قضاءً» (متفق عليه).

ومن الناس من يستدين من أي مكان، حتى لو كان بنكاً ربوياً أو مصدراً حراماً، وهذا من الكبائر.

ومن الناس من يقترض فوق طاقته، مع أنه على يقين من عدم قدرته على السداد.

والكارثة والمصيبة أن يصبح الدَّيْن وسيلة للكسب، فيحصل على القرض ثم يأكله ولا يبالي بصاحبه. وقد ورد في هذا الصنف وعيد شديد؛ فعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجلٍ يستدين ديناً وهو مجمع على أن لا يوفيه إياه، لقي الله سارقاً».

(رواه ابن ماجة وحسّنه الألباني).

وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللهُ عَنْهُ، ومَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ».

أتلفه الله أي: المال فلا بركة فيه، أتلفه الله أي: وقعت له جائحة أو مصيبة، والله أعلم.

إن الذي يستدين من الناس وينوي عدم الوفاء أو المماطلة، سماه رسول الله ﷺ ظالماً، فقال: «مَطْلُ الغني ظلم».

أما من نزلت به نازلة وضاقت عليه السبل، فاقترض قرضاً ليرفع فاقته وهو يضمر وينوي السداد بنية حسنة ثم عجز عن ذلك، فلا يُلام شرعاً ولا يؤاخذ في الآخرة، وقد تكفل الله بسداد دينه كما في قوله ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى الله عنه». (رواه البخاري).

ومن خشي على نفسه الوقوع في الزنا واحتاج إلى الزواج ليتعفف، أبيح له الاقتراض والله سيعينه على السداد، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم...» وذكر منهم: «...الناكح يريد العفاف». (رواه أهل السنن).

ومن الأخطاء الشائعة في هذا الباب، أن يكون عند الشخص مال لأحد أقاربه ائتمنه عليه، أو مال لشريكه، أو مال لأيتام، أو مال للمؤسسة التي يعمل فيها، فيقترض منه ويتصرف فيه إلى حلول الراتب من غير علم صاحبه. وهذا لا يجوز إلا بإذن المالك، فإن أخبره وأذن له حلّ له، وإلا فتصرفه يعد من الخيانة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، عباد الله:

ما علاج من أثقلته الديون؟

عليه بالإقبال على الله، وكثرة الاستغفار، ولزوم الفرائض، واجتناب الحرام، والإكثار من الدعاء، وحسن الظن والرجاء بالله وعدم اليأس.

فعن علي ﷺ: أن رجلاً جاءه فقال: **إني قد عجزت عن قضاء الدين فأعني. قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل صِيرٍ ديناً أداه الله عنك؟ قال: قل: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»**. (رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب).

كم من أقوام تحملوا ديوناً وعجزوا عن قضائها، ولجأوا إلى الله وأكثروا من الاستغفار، فجاءهم الفرج من حيث لم يحتسبوا.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجلٍ من الأنصار يقال له أبو أمامة جالساً فيه. فقال: «يا أبا أمامة، ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟». قال: همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسول الله. (لاحظ أنه ما لجأ إلى المخلوقين، بل لجأ إلى بيت ملك الملوك، قاضي الحاجات، مفرج الكربات). فقال ﷺ: «أفلا أعلِّمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟». فقال: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحت وأمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». قال أبو أمامة: فقلت ذلك، فأذهب الله همي وقضى عني ديني. (رواه أبو داود).

ونذكر الموسرين وأصحاب الأموال ونبشر من أقرض مسلماً وفرّج همه، وأنظر المعسرين أو تجاوز عنهم.

ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه».

وقال ﷺ: «إن رجلاً كان فيمن قبلكم لم يعمل خيراً قط، لما مات قال الله: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر واترك ما عسر، تجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك». (رواه البخاري).

واعلموا أن الدَّيْن كالصدقة. روى الإمام أحمد وصححه الألباني أن رسول الله ﷺ قال: «من أنظر معسراً فله بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره، فله بكل يوم مثليه صدقة».

لا إله إلا الله! ما أكرم الله!

ومن سماحة الإسلام ورحمة الرحمن، أن جعل سهماً من مصارف الزكاة للغارمين.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦] اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم اقضِ الدَّيْن عن المدينين، وفرّج كرب المكروبين، ونفّس هم المهمومين. اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك. ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

الزلازل آيةٌ وعبرة

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الأرض قراراً ومهاداً، وفراشاً وبساطاً، ألقى فيها رواسي أن تميد بكم، وجعل السماء سقفًا محفوظًا.

أحمده على نعمه الظاهرة والباطنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أعرف الخلق بربه، وأتقاهم له، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

أيها المؤمنون،

قبل أيام أصاب إخواننا في تركيا وسوريا زلزالٌ قويٌّ مدمّر، إنها الكارثة الأسوأ التي تتعرض لها تركيا منذ مئة عام. يا الله، أنزل عليهم من الصبر أضعاف ما نزل عليهم من البلاء. زلزال تسبب في وفاة وإصابة الآلاف، وهدم آلاف المباني والمنشآت، وتشريد الآلاف. اليوم هو الخامس وما زال بشر يئنون تحت الأنقاض ينتظرون الفرج. يا الله، فرّج همهم، وآوِ شريدهم، وداوِ جريحهم، واشفِ مريضهم، وارحم ميتهم.

هنا تظهر المشاعر والأخوة. هل تألمت لألمهم؟ هل دعوت لهم من قلب خالص أن الله يفرج همهم ويكشف ما بهم؟

زلزال ترك بعض المدن كأنها ساحة حرب لسنين. فلا إله إلا الله، اللهم لطفك يا لطيف. رُحمَاكَ اللَّهم بإخواننا في الشَّامِ رُحمَاكَ، فَقَدِ اجتَمَعَت عَلَيهِم مَصَائِبُ وتَوَالَت عَلَيهِم أَحزَانٌ؛ تَشرِيدٌ مِن دِيَارِهِم، وفَقرٌ وحَاجَةٌ وبَردٌ، وأَمطَارٌ وثُلُوجٌ ومُستَنقَعَاتٌ، ثم زِلزَالٌ مُهلِكٌ مُدَمِّرٌ.

يا كاشِفَ الضُّرِّ لُطفاً ـ لا تُؤَاخِذُنا*** أَنتَ الرَّحِيْمُ وأَنتَ الواحدُ الصَّمَدُ

نَشْكُو إليكَ خُطُوباً ـ أنت أعلم بِها *** فَارْفَعْ ما حل بنا، مِنْكَ العَوْنُ والمَدَدُ

إنه البلاء العظيم الذي به تُرفع الدرجات. المصائِبُ التي يُنْزِلُها اللهُ بالعِباد، ومنها الزلازل والكوارث، إِمَّا عُقوباتٌ، وإِمَّا ابْتِلاءَاتٌ، وإِمَّا كفارات. وقَدْ تَحِلُّ مُصِيْبَةٌ واحِدَةٌ بِقَومٍ، هي لِبَعْضِهِم عُقُوْبَة، وهي لِبَعْضِهم ابتلاءٌ، وهِيَ لِبَعضِهِم رِفْعَةٌ وكَفَّارَةٌ. ومَن مَاتَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ بالهَدمِ بِسَبَبِ الزَّلازِلِ أَو غَيْرِها، فَهُوَ في شَرِيعةِ الله شَهِيْدٌ، والشُهداءُ أَحياءٌ عندَ رَبِهِم يُرزَقون.

عباد الله:

إن هذه الحادثة يجب أن لا تمر علينا مرور الكرام، وينبغي أن نتوقف عندها لنستخلص الدروس والعبر.

يا أَهْلَ الْإِيمَانِ، الزَّلْزَلَةُ والزِّلْزَالُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهَّ فِي أَرْضِهِ، وقَدَرٌ مِنْ أَقْدَارِ اللهَّ فِي مُلْكِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ، ويَصْرِفُهَا عَمَّنْ يَشَاءُ لحكمة.

﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]

الزَّلَازِلُ والْهِزَّاتُ الْأَرْضِيَّةُ رَسَائِلُ إِنْذَارٍ مِنَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ:

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء:٥٩]

الزَّلَازِلُ أَعْظَمُ آيَةٍ كَوْنِيَّةٍ تَرْتَجُّ لَهَا النُّفُوسُ، وتَنْخَلِعُ لَهَا الْقُلُوبُ. اللهم ادفع عنا البلاء والبراكين والزلازل والمحن والفتن.

إِنَّهُ مَنْظَرُ الْأَرْضِ وهِيَ تَتَصَدَّعُ، وتَنْشَقُّ، وتَتَغَيَّرُ؛ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي عَهِدَهَا النَّاسُ وقَرُّوا فِيهَا واستأنسوها. ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل:٦١]

هَذِهِ الْأَرْضُ، فِي مِثْلِ طَرْفَةِ الْعَيْنِ، يُغَيِّرُ اللهُ حَالَهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي دُنْيَاهُمْ غَافِلُونَ، وفِي لَهْوِهِمْ سَادِرُونَ، إِذْ أَذِنَ اللهُ لِجُنْدٍ مِنْ جُنْدِهِ أَنْ يَتَحَرَّكَ. أَذِنَ لِلْأَرْضِ الصُّلْبَةِ السَّاكِنَةِ أَنْ تَضْطَرِبَ، فَإِذَا السُّقُوفُ تسقط، والْبِنَايَاتُ تَتَمَايَلُ، والْحِيطَانُ تَتَنَاثَرُ.

ذُهِلَتِ الْعُقُولُ، زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ. اخْتَلَطَتِ الْأَشْلَاءُ، سَالَتِ الدِّمَاءُ، أَعْضَاءٌ مُقَطَّعَةٌ، وأَجْسَادٌ مُبَعْثَرَةٌ، وأقوامٌ تَحْتَ الْأَنْقَاضِ تَئِنُّ وتَتَوَجَّعُ. يا الله، رحمتك بالمسلمين في كل مكان.

يَخْرُجُ النَّاسُ مَعَ رَجْفَةِ الزَّلْزَلَةِ مَكْلُومِينَ، مَشْدُوهِينَ، نَازِحِينَ، يَسِيرُونَ ولَكِنْ إِلَى غَيْرِ اتِّجَاهٍ، يَقْصِدُونَ لَكِنْ إِلَى غَيْرِ وجْهَةٍ، لَا بُيُوتَ تُنْجِيهِمْ، ولَا أَبْرَاجَ تُؤْوِيهِمْ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأنبياء:١٣]

إِنَّهَا صَدْمَةٌ سَرِيعَةٌ خَاطِفَةٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهَا اللِّسَانُ، أَوْ يُصَوِّرَهَا الْبَنَانُ!

هي نصف دقيقة أو دقيقة! عليك أن تترك كل شيء وتنقذ نفسك وعائلتك بالخروج فوراً من المنزل والنزول إلى الشارع. نصف دقيقة أو دقيقة، لم يعد هناك شيء له قيمة إلا الروح. لا مال ينفع، لا منصب ينجي.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك:١٦]

لقد رأينا شيئاً بسيطاً، فكيف إذا جاءت زلزلة الساعة؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحج:١]

. مَا نَرَاهُ الْيَوْمَ مِنْ دَمَارٍ مَهُولٍ، ومَشَاهِدَ مُفْجِعَةٍ، مَا هُوَ إِلَّا جُزْءٌ يَسِيرٌ، ومَشْهَدٌ قَصِيرٌ مِنْ زِلْزَالِ يَوْمٍ عَظِيمٍ.

إِذَا كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ فَجَعَتْهُمْ حَرَكَةٌ قَلِيلَةٌ، وهِزَّاتٌ يَسِيرَةٌ، فِي ثَوَانٍ مَعْدُودَةٍ، وفِي بُقْعَةٍ مَحْدُودَةٍ؛ فَكَيْفَ بِنَا -يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ- إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا؟! وبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا؟! كَيْفَ حَالُنَا إِذَا حُمِلَتِ الْأَرْضُ والْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً واحِدَةً؟!

إِنَّهُ زِلْزَالٌ لَا مَوْتَ فِيهِ، ولَكِنْ فِيهِ الْخَوْفُ الْمُتَنَاهِي. ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣﴾ [الزلزلة: ١-٣]. يا الله، ارحم وقوفنا بين يديك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.

أما بعد، عباد الله:

من رسائل ووقفات هذه الزلازل، أنها تذكرنا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥]

يموت أقوياء الأجسام والشباب، ويخرج من بين الأنقاض طفل صغير. مشاهد عجيبة! أم تموت مع أطفالها، لكن جنينها الذي ولدته تحت الأنقاض ينجو. يا الله، لطفك بعبادك. مشهد إخراج طفل من تحت الأنقاض بعد ثلاثة أيام وهو على قيد الحياة، وناجٍ آخر خرج حياً يرزق بعد أربعة أيام. من الحافظ؟ من المحيي؟ من القيوم؟ إنه الله. بعد أربعين ساعة، خروج أسرة كاملة وهي في عافية والحمد لله. يا الله، الطف بإخواننا في سوريا وتركيا. إنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها.

مشاهد لن تُنسى: امرأة ترفض أن تخرج من بين الأنقاض حتى تُعطى ما تغطي به شعرها.

يا الله، لطفك بهم. إنها العفة حتى في ساعات الخوف والقلق للمرأة المسلمة.

ومن رسائل الزلازل أنها تَقُولُ: مَا أَعْظَمَ قُدْرَةَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ! ومَا أَشَدَّ بَطْشَهُ! تَعَالَتْ عَظَمَتُهُ، وجَلَّتْ قُدْرَتُهُ. إِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ.

فَكَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نُرَاجِعَ أَنْفُسَنَا وتَعْظِيمَنَا لِمَقَامِ رَبِّنَا!

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١]

وَمِنْ رَسَائِلِ الزَّلَازِلِ أَنَّهَا تُخَاطِبُ أَهْلَ الْأَرْضِ بِعَجْزِ هذا الْمَخْلُوقِ، وضَعْفِهِ، وفَقْرِهِ، وقِلَّةِ حِيلَتِهِ. وأَنَّه مَهْمَا طَغَى وبَغَى، ومَهْمَا تَجَبَّرَ وتَكَبَّرَ، فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ. يَبْقَى هَذَا الْإِنْسَانُ، وإِنِ اكْتَشَفَ الذَّرَّةَ، وصَعِدَ الْفَضَاءَ، يَبْقَى ضَعِيفًا حَائِرًا أَمَامَ هَذَا الْجُنْدِيِّ الْإِلَهِيِّ.

ومن الوقفات والتأملات، أننا في زمان كثرت فيه الزلازل والهزات الأرضية، وهذه علامة من علامات الساعة. روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الْفِتَنُ، ويَكْثُرَ الْهَرْجُ، وهُوَ الْقَتْلُ».

فاللهم جنبنا الزلازل والفتن، ما ظهر منها وما بطن، يا أرحم الراحمين.

أيها المسلمون: إذا وقعت الهزات والزلازل، فعلى المسلم التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، وخاصة الصدقة، والتوبة، والإكثار من الدعاء والتضرع بين يديه.

فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام:٤٣]

وعن حذيفة ﷺ رفعه قال: «يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغريق».

والاستغفار له أثر كبير في منع وقوع العذاب، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣]

وقعت رجفة في عهد عمر بن عبد العزيز، فكتب إلى أهل البلدان: "إن هذه الرجفة شيء يعاتب الله به عباده، فمن استطاع أن يتصدق فليفعل؛ فإن الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى:١٤]، ولا تنسَ - أيها المسلم - إخوانك المسلمين المنكوبين المتضررين من برك وإحسانك ودعائك، فالخير واصل إليك بدعوتك لهم. فكلما دعا المسلم لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: «آمين، ولك بمثل». (رواه مسلم)، هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦]، اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم ارحم إخواننا في تركيا وسوريا، اللهم الطف بهم، وعافِ جرحاهم، وتقبل موتاهم في الشهداء، واجبر كسرهم، وآوِ شريدهم، وأطعم جائعهم، وأمّن روعاتهم.

اللهم أنزل عليهم السكينة والصبر والرضا، اللهم احفظنا وبلادنا وسائر بلاد المسلمين من الزلازل والمحن، وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

أذكار الصباح والمساء (١)

الحمدُ لله الذي خلَقَ كلَّ شَيءٍ فقَدَّرهُ تقديراً، وهو الذي جعلَ الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أرادَ أنْ يذَّكَّرَ أو أرادَ شُكوراً. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، أَمَرَ عِبادَه بذِكرِهِ بُكرَةً وأَصيلاً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أَرسلَهُ ربُّهُ إلى العالمينَ بَشِيراً ونَذِيراً، وداعِياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسِراجاً مُنيراً. صلى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقُوا اللهَ- أيها المؤمنونَ- كما أمرَكُم ربُّكُم بذلكَ فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١]

عباد الله،

إن من أعظم أسباب سعادة الإنسان المسلم وتوفيقه وحفظه في هذه الحياة الدنيا، تسلحه وتحصنه بذكر الله تعالى.

الله سبحانه لم يجعل سعادة الإنسان وراحته وأنسه واطمئنانه فيما يلبس أو يأكل أو يركب أو يسكن، بل جعلها في ذكره وعبادته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]

أما من أعرض عن ذكر الله، أما من غفل عن توحيد الله وتسبيحه وذكره، فهنيئاً له الشقاء والتعاسة والبؤس، ولو امتلك مقومات الدنيا من مال ومنصب.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤]

وقال تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّخرُف:٣٦].

عباد الله،

يكفي الذاكرين شرفاً ورفعةً أن الله يذكرهم: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢]

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ».

ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى بها فضلاً وشرفاً. واللهِ لن تجدَ صاحبَ ذكرٍ مخذولاً! بل التوفيقُ حليفُه أنَّى توجَّهت به الحياة!

ذكر الناس داء، وذكر الله دواء.

يكفي الذاكرين شرفاً وتيهاً أن الله يعظم لهم الأجر ويغفر لهم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥]

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]

عباد الله:

كم هم أعداؤنا في هذه الدنيا ومنغصاتنا! شياطين الجن والإنس، والأمراض، والحوادث، والأعراض. وليس هذا بعجيب، بل هو من رحمة الله بالعبد ليكون دومًا بجوار ربه، متعلقًا به، متوكلاً عليه. ولكن العجب من امرئ يعرف ضعفه وعجزه وكثرة أعدائه، ومع ذلك يمشي بلا تحصين لنفسه بشيء من التحصينات الشرعية.

أخي الكريم، هناك عبادتان تحصل بهما مفاجآت في حياتك لو أنك عشت بها ومارستها وأدمنتها:

أكثر من ثلث ابتلائك بسبب ذنوبك وعقوبات أخطائك وسيئاتك: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]

وبالعبادة الأولى تُرفع هذه العقوبات، إنه الاستغفار، من أهم مفاتيح الرحمة. قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل: ٤٦]

والاستغفار يعطيك قوة وبركة ورزقاً. قال تعالى على لسان هود عليه السلام:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢]

وقال ﷺ: «من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وكان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم سبعين مرة، وفي رواية مئة مرة. فكم نصيبنا من الاستغفار؟

قصص بالمئات لمن تمنوا الولد وتأخر زواجهم وزادت كروبهم ومشاكلهم، فأكثروا من الاستغفار فأصلح الله لهم كل الأمور. فلا إله إلا الله.

وأكثر من ثلث الابتلاءات في حياتك بسبب السحر والشرور والآفات والحسد والشياطين، وعلاجها في العبادة الثانية، وهي أذكار الصباح والمساء.

أذكار الصباح والمساء جرعة كل اثنتي عشرة ساعة، تحفظك من كل سوء مدى الحياة. بعد الفجر وبعد العصر، مدى الحياة. لو فاتتك تقضيها، لو نسيتها عند ذكرها تقولها.

ولهذا أوصانا الله بذكره وتسبيحه في هذين الوقتين. قال تعالى:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠]

وقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥]

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٦]

أذكار الصباح والمساء تُعطِي المسلمَ القوَّةَ ليقُومَ بأعمالِ يومِهِ، بكُلِّ رَاحةٍ وأَمانٍ، لأنَّه توكَّلَ علَى الحيِّ القَيومِ، وآوَى إلى رُكنٍ شَدِيدٍ، وبَدأَ يَومَهُ وأَنهَاهُ بذِكرِ اللهِ ﷻ.

فعَنِ الحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ. كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ». (رواهُ التِّرمذيُّ وصحَّحهُ الألبانيُّ).

أيها المؤمنون:

ذكر الله سلاح عظيم بين أيدينا لكل ما نعاني منه، لكننا لا نحسن استخدامه. مطلوب أن نذكر الله كثيراً حتى نصل إلى أثر الذكر في حياتنا. قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحـــزاب: ٤١]، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١]

وسُئِلَ الإمامُ ابنُ الصَّلاحِ رحمه الله عن القَدْرِ الذي يَصِيرُ بهِ العبدُ مِنَ الذَّاكرينَ اللهَ كثيرًا والذَّاكراتِ، فقَالَ: "إذا واظبَ على الأَذكارِ المأثورةِ المُثْبَتَةِ صباحًا ومساءً، في الأَوقاتِ والأَحوالِ المختلفةِ ليلاً ونهارًا، كانَ مِنَ الذَّاكرينَ اللهَ كَثيرًا والذَّاكراتِ".

وقال أحد الصالحين: "أَذكَارُ الصَّباحِ والمسَاءِ أَشَدُّ مِن سُورِ يَأجوجَ ومَأجُوجَ في التَّحصُّنِ لِمَنْ قالَها بحضُورِ قَلبٍ".

أيها الإخوة، والأكملُ للمسلمِ إذَا أَرادَ قِراءةَ الأذكارِ والأدعيةِ أَن يتفرغَ لها، ويتهيأَ لها بالطَّهارةِ، واستقبالِ القِبلةِ إنْ أَمكَنَ. وأنْ يَأتِيَ بهَا بتُؤَدَةٍ وتَأَنٍّ وتَعَقُّلٍ وتَفَهُّمٍ؛ لينشَرِحَ صَدرُهُ وتَأْنَسَ رُوحُهُ؛ ويَذُوقَ حَلاوةَ الإِيمانِ، ولا يَلِيقُ بِهِ أَن يَهُذَّهَا هَذَّ الشِّعرِ، فيُسرِعَ بذِكرِها مِن غَيرِ حُضورِ قِلبٍ وتَفَهُّمٍ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.

أما بعد، عباد الله:

نقسم الأذكار في الصباح والمساء إلى أقسام، ومنها قسم للحفظ من الشرور والشياطين والجن والحسد. نذكر منها:

أولاً: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» (ثلاث مرات). من قالها حين يمسي لم تضره حُمَة (لدغة) تلك الليلة.

ثانياً: **قراءة المعوذتين و(قل هو الله أحد) (ثلاث مرات)**. قال النبي ﷺ لعبد الله بن خبيب: «(قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء».

عباد الله:

إن حاجة المسلم إلى أن يعوذ نفسه بهذه الثلاث أعظم من حاجته للنفس والطعام والشراب، فإنها تصرف شر الأشرار والحاسدين والسحرة والشرور كلها. كثير من البيوت اليوم تشكو الكآبة والضيق والحزن والعين والمس والهموم، وعلاجها التسلح بهذه الأذكار.

ثالثاً: «**بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ** ولَا فِي السَّمَاءِ وهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (ثلاث مرات). قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء...) ثلاث مرات، فيضره شيء».

رابعاً: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**، لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الْحَمْدُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (عشر مرات صباحاً ومساءً، أو مئة مرة في اليوم). قال رسول الله ﷺ: «**من قالها عشر مرات حين يصبح، كُتب له بها مئة حسنة، ومُحي عنه بها مئة سيئة، وكانت له عدل رقبة، وحُفظ بها يومئذ حتى يمسي، ومن قال مثل ذلك حين يمسي، كان له مثل ذلك**». وفي رواية: «**كانت له حرزاً من الشيطان**».

امرأة تغيرت على زوجها وبيتها فجأة وتعبت عاماً وأكثر، ويوم سمعت فضل هذه الكلمة تقول: فقالتها ١٠٠٠ مرة في اليوم الأول فأحست بتغير في جسمها، ثم قالتها الف في اليوم الثاني فأحست بغثيان، ثم قالتها الف مرة في اليوم الثالث، فاستقاءت شيئا أسود لم تدري ما هو هل هو سحر او عين الله أعلم وشفاها الله وعافاها.

حسد أحد الصالحين رجلاً وأراد أن يكيده ويؤذيه، فذهب إلى أحد السحرة وقال: أريدك أن تسحر فلاناً وسأدفع لك ما تريد. انظروا كيف يبيع بعض الناس دينه بعرض!

وبعد أسبوعين اتصل على الساحر وقال: فلان يروح ويجي ما فيه شيء. فقال الساحر: أعطني فرصة. وهو يكذب. فمر أسبوع ثالث واتصل عليه وقال: أنت تكذب علي، أين أثر السحر؟ وبعد أسبوع آخر يقول الساحر: أقسم بالله العظيم ما استطعت أدخل الشارع الذي فيه بيته. فكيف تريدني أدخل بيته؟ ومن لجأ إلى الله لا يخيبه الله.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. اللهم اجعل ألسنتنا عامرة بذكرك، وقلوبنا بخشيتك، وأسرارنا بطاعتك. اللهم حصّنا بحصنك الحصين، واحفظنا بحفظك الذي لا يرام، واكلأنا بعينك التي لا تنام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

أذكار الصباح والمساء (٢)

الحمد لله يذكر من ذكره ويزيد من شكره، وأشهد أن لا اله الا الله جعل ذكره لذة وزادا للمتقين، وجُنّة واقية من سهام الشياطين،.

وأشهد أن محمداُ عبد الله ورسوله سيد الذاكرين وإمام المتقين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين في كل وقت وحين وسلم تسليما كثيراً

أيها المؤمنون:

اتَّقُوا اللهَ- عِبَادَ الله- حقَّ التَّقْوَى؛ وراقبوه وفي السر والعلن

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[سورة آل عمران: ١٠٢]

عباد الله:

ما زلنا واياكم في ظلال أذكار الصباح والمساء، وأهميتها ودورها في حماية الانسان وحفظه بعد الله؛ فالتفريط فيها غفلة و حرمان والتوفيق لها نعمة من الديان.

أخي الكريم:

ما دمت تقرأ الاذكار وتحافظ عليها فابشر- بكل خير حتى لو وقعت لك مصيبة فالله يخرجك من ضيقها وبلاءها بمثاقيل الحسنات التي لم تخطر لك على بال.

قال ابن القيم رحمه الله: " أذكار الصباح والمساء بمثابة الدرع كلما زادت سماكته لم يتأثر صاحبه، بل تصل قوة الدرع أن يعود السهم فيصيب من أطلقه ".

فلا اله الا الله.. الذكر قوة، الذكر جنة، الذكر حماية

وقال ابن كثير رحمه الله:" البسُوا مِعطَف الأذكار لِيقِيكم شُرور الإنْس والجَان، ودثّروا أرواحَكُم بالاستْغفار لتَمحى عنكم ذُنوب اللّيل والنّهَار ".

عباد الله:

أذكار الصباح والمساء خمسة أقسام :

القسم الاول: أذكار الحفظ والتحصين من كل سوء، وتناولنا في الجمعة الماضية أربعة اذكار، أولها: قول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات صباحا ومساء، وثانيها: قراءة سور المعوذات والاخلاص ثلاث مرات، وثالثها قول بسم الله للذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، ورابعها:قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير(١٠)مرات بعد الفجر و(١٠) بعد المغرب.

ومن أذكار الحفظ والتحصين: خامساً: قول: "حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ". فقد أخبرنا النبي ﷺ أن من قالها:(سَبْعَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ وحِينَ يُمْسِي، كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ). [أخرجه ابن السني، برقم ٧١ مرفوعاً، وأبو داود موقوفاً، ٤/ ٣٢١، برقم ٥٠٨١، وصحّح إسناده شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط. انظر: زاد المعاد ٢/ ٣٧٦. ٦].

يكفيك الله كل ما أهمك من قال؟ الحبيب المصطفى. ومن سيكفيك؟الله من بيده كل شيء نعم.فتعامل بقدسية مع هذه الاذكار تجد أثرها العظيم في حياتك.

ومن أذكار الحفظ والتحصين سادساً:

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال:

«قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ومَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وشَرِّ الشَّيْطَانِ وشِرْكِهِ، وأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ». قال: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وإِذَا أَمْسَيْتَ، وإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ».

[صحيح] - [رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد].

ومن أذكار الحفظ والتحصين سابعاً: قراءة آية الكرسي التي فيها اسم الله الأعظم "الحي القيوم"، أعظم آية من كتاب الله. من قرأها حين يمسي وحين يصبح أُجير من الجان.

[أخرجه الحاكم، ١/ ٥٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٧٣، وعزاه إلى النسائي، والطبراني، وقال: "إسناد الطبراني جيد"].

ومن قراها بعد الصلاة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت ومن قرأها قبل النوم لم يزل عليها من الله حافظ.

ثامناً وأخيراً: ما أخرجه ابن السني والطبراني عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء، وقال: يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك. قال: لم يكن الله ليفعل بي ذلك، من كلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ وهي: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، ومِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".

من قالها حين يصبح وحين يمسي؛ لم تصبه فتنة، لا في نفسه، ولا ماله، ولا أهله. وإني قلتهن هذا اليوم. فقال: فذهبنا إلى بيته؛ فوجدنا كل ما حوله قد احترق، وداره لم تحترق.

القسم الثاني من أذكار الصباح والمساء: أذكار تتعلق بتجديد العهد والولاء والتوحيد مع الله. وفيها سبعة أذكار:

أولاً: قول العبد: "اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ ولَكَ الشُّكْرُ". - يا الله ما أحلاه من ذكر وتفويض وشكر - من قاله حين يصبح وحين يمسي فقد أدَّى شكر يومه وليلته.

[أخرجه أبو داود، ٤/ ٣١٨، برقم ٥٠٧٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٧.]

ومن أذكار تجديد العهد مع الله ثانياً: قول العبد: "اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وبِكَ أَمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وبِكَ نَمُوتُ، وإِلَيْكَ النُّشُورُ".[الترمذي، ٥/ ٤٦٦، برقم ٣٣٩١، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٤٢].

ثالثاً: قول: "أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ، والْحَمْدُ للهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الْحَمْدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". [مسلم، ٤/ ٢٠٨٨، برقم ٢٧٢٣.]

رابعاً: **قول العبد**: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، ومَلَائِكَتَكَ، وجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ ورَسُولُكَ". من قالها حين يصبح أو يمسي أربع مرات، أعتقه الله من النار. [أخرجه أبو داود، ٤/ ٣١٧، برقم ٥٠٧١، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١٢٠١، والنسائي في عمل اليوم والليلة].

ومن أذكار تجديد العهد مع خامساً: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وعَافِيَةٍ وسِتْرٍ؛ فَأَتِمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ وعَافِيَتَكَ وسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِذَا أَصْبَحَ وإِذَا أَمْسَى، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عز وجل أَنْ يُتِمَّ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ". [أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٥٦).]

سادساً: ما جاء عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أصبح قال: "أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، ودِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، ومِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا". [رواه أحمد، ٣/ ٤٠٦، و٤٠٧، برقم ١٥٣٦٠، ورقم ١٥٥٦٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٤، وانظر: صحيح الجامع، ٤/ ٢٠٩.]

سابعاً وأخيراً: قول العبد: "رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا". من قالها ثلاثاً حين يصبح وثلاثاً حين يمسي كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة.

[أحمد، ٤/ ٣٣٧، برقم ١٨٩٦٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٤، وابن السني، برقم ٦٨، وأبو داود].

إنها مناجاة يومية تهتف بأعظم معاني الربانية. إنه ذكر الله، نعم الزاد في الليل والنهار.

أورد ابن الجوزي في "صفة الصفوة" رواية عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له: حُدَير. وكانت تلك السنة قد أصابتهم سَنَةٌ [شدة] من قلة الطعام، فزودهم رسول الله ﷺ ونسي أن يزود حُديراً.

فخرج حُديرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول: "لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله"، ويقول: "نعم الزاد هو يا رب"، فهو يرددها وهو في آخر الركب.

قال: فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: "**إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حُديراً، وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب**". قال: "**فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض، فابعث إليه بزاد**".

قال: فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأرسله إليه، فانتهى إليه وهو يقول: "لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله"، ويقول: "**نعم الزاد هو يا رب**".

قال: فدنا منه ثم قال له: "إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله، وقد أرسلني إليك بزاد معي ويقول: إني نسيتك فأرسل إليَّ جبريل من السماء يذكرني بك".

قال: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: "الحمد لله رب العالمين، ذكرني ربي من فوق سبع سماوات ومن فوق عرشه، ورحم جوعي وضعفي. يا رب، كما لم تنسَ حُديراً، فاجعل حُديراً لا ينساك".["صفة الصفوة" (١/ ٦٧٥)]

هذا، وصلوا -رحمكم الله- على خير البرية وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة؛ فقد أمركم الله بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وزِد وبارِك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة -أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي- وعن سائر صحابة نبيك محمد ﷺ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

أذكار الصباح والمساء (٣)

الحمد لله الذي خلق الخلق فأبدعه، وسنَّ الدين وشرعه، ونوَّر النور وشعشعه، وقدَّر الرزق ووزعه، وأجرى الماء وأنبعه، وجعل السماء سقفاً مرفوعاً رفعه، والأرض بساطاً وضعه. من الذي سأله شيئاً فمنعه؟ ومن الذي طرق بابه فأرجعه؟ ناداه يونس وهو في ظلمات البحر فسمعه، واستجاب لأيوب حينما دعاه يشكو إليه وجعه. سبحانه ما أعلى مكانه وأرفعه، وأعز سلطانه وأمنعه. يؤتي ملكه من يشاء وممن يشاء ينزعه، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته، ولا مبعثر لما جمعه.

أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ولا ند له، ولا إله معه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صفيه من خلقه وأمينه على ما استودعه.

صلى الله عليه وعلى آله وجميع أصحابه، خصوصاً الخلفاء الأربعة، ومن سار على هديه وامتثل سنته، وعلى جميع من اتبعه.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله ﷻ حق تقاته، وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته، ونافسوا وسابقوا للفوز بجناته، فوالله لن ينفع الإنسان بعد مماته إلا ما قدّم من الصالحات والقربات في حياته. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨]

ما زلنا وإياكم مع أذكار الصباح والمساء، وأهميتها ودورها في حفظ الإنسان وحمايته ودخوله في حرز الله وحصنه من شياطين الإنس والجن.

أذكار الصباح والمساء خمسة أقسام: أولها أذكار للحفظ والتحصين، وثانيها أذكار تجدد العهد مع الله.

القسم الثالث: أذكار الفتح والتوفيق وإزالة الموانع

وفيها أربعة أذكار:

أولاً: قول العبد: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، ولَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا". وهي وصية الحبيب المصطفى لابنته فاطمة ضي الله عنها أن تقول إذا أصبحت وإذا أمسَت: **"يا حيُّ يا قيُّومُ، برحمتِك أستغيثُ، أصلِح لي شأني كلَّه، ولا تَكِلني إلى نفسي طرفةَ عين."**[رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١/ ٥٤٥، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٧٣.]

هذا الدعاء من أعظم الأدعية التي تُقال صباحًا ومساءً، وفيه:

- توكُّلٌ تام على الله الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.
- طلب العون في كل أمر.
- الاستعاذة من أن يُترك الإنسان إلى نفسه لحظة، لأن النفس تجرّه إلى الضعف والزلل.
- قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في مدارج السالكين (ج ١ / ص ٤٤٦):

"من أَدْمَنَ قول: يا حيُّ يا قيوم، أحيا اللهُ به قلبَه."

وهي كلمة عظيمة تجمع بين كمال الحياة و كمال القيومية، ومن داوم عليها أحيا الله قلبه من الغفلة والضعف، وقوّى به روحه وإيمانه.

ثانياً: قول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا اليَوْمِ: فَتْحَهُ، ونَصْرَهُ، ونُورَهُ، وبَرَكَتَهُ، وهُدَاهُ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وشَرِّ مَا بَعْدَهُ". وإذا أمسى قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ: فَتْحَهَا، ونَصْرَهَا، ونُورَهَا، وبَرَكَتَهَا، وهُدَاهَا، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهَا، وشَرِّ مَا بَعْدَهَا".

ثالثاً: **قول العبد**: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحُزَنِ، والْعَجْزِ والْكَسَلِ، والْبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ وغَلَبَةِ الرِّجَالِ". هي ثمانية أمراض خطيرة إذا استولت على القلب شلّت حركتك في طريق الله، وقطعتك عن السير إليه.

والعجيب أنَّ الواحد منها كافٍ لإهلاكك،

فكيف إذا اجتمعت الثمانية كلّها؟!

فتفقَّد قلبك، وراقب نفسك، واحذر أن يُقعدك واحد منها عن بلوغ مرادك.

رابعاً: **سيد الاستغفار**: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأَنَا عَبْدُكَ، وأَنَا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ". من قاله موقناً به حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، وكذلك إذا أصبح. [أخرجه البخاري، ٧/ ١٥٠، برقم ٦٣٠٦.]

القسم الرابع من أذكار الصباح والمساء أذكار التأمين على المستقبل:

وهي الأذكار التي تحفظك – بإذن الله – في رزقك وصحتك، وتؤمِّن لك العافية والسلامة من كل بلاء.

فهي سبب في:

- سَعة الرزق وبركته.
- دوام الصحة والعافية.
- حمايتك من الزلازل والخسف والصواعق.
- وقايتك من تسلُّط العدو وكيد الحاسدين والظالمين.

فاحرص عليها كل صباح ومساء، فإنها حصنك الحصين بإذن ربِّ السماء.

وفيها أربعة أذكار:

أولاً: ما جاء عن عبد الله بن عمر أنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ والْعَافِيَةَ فِي دِينِي ودُنْيَايَ وأَهْلِي ومَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي وعَنْ يَمِينِي وعَنْ شِمَالِي ومِنْ فَوْقِي، وأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي".

[أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وصححه الإمام النووي].

سُئل أحد السلف عن المراد بقوله: (أن أغتال من تحتي) فقال: الخسف.

أي أن الله تعالى يحمي قائلها من الخسف والزلزال وما شابه ذلك.

ثانياً: قول: "اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" (ثلاث مرات).[أبو داود، ٤/ ٣٢٤، برقم ٥٠٩٠، وأحمد، ٥/ ٤٢، برقم ٢٠٤٣٠.]

ثالثاً: قول العبد: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ والْفَقْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" (ثلاث مرات).

ومن أذكار التامين للمستقبل الاخروي والدنيوي.

رابعاً: الصلاة على النبي ﷺ. قال ﷺ: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً واحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، ورُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ".

[أخرجه النسائي وصححه الشيخ الألباني].

يكفينا في بيان عظيم فضلها ما جاء في حديث أُبَيِّ بن كعب – رضي الله عنه – أنه قال:

يا رسول الله، إني أُكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟

قال: «ما شئت».

قال: أجعل لك ربع صلاتي؟

قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك».

قال: النصف؟

قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك».

قال: أجعل لك صلاتي كلها؟

قال ﷺ: «إذًا تُكفَى همَّك ويُغفَر لك ذنبك» (رواه الترمذي)

ومن عظيم أثرها أن شابًا اتصل بأحد العلماء قائلًا:

"يا شيخ، لا تنسني من دعائك، فإني عازم على الانتحار!"

فأوصاه الشيخ بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، فكانت سببًا في سكون قلبه وانشراح صدره ونجاته من هذه الفكرة السوداء.

تأمل عِظَم الفضل: فإنك إذا صليت عليه صلاة، صلى الله عليك عشرًا،

وصلاة الله عليك: رحمته وتوفيقه وبركته في حياتك وأهلك ومالك وأمرك كله.

فأكثروا من الصلاة والسلام عليه، فإنها مفتاح الفرج، وسبب المغفرة، ونور القلوب، وبركة الأعمار.

القسم الخامس: أذكار بداية اليوم بثواب عظيم:

ابدأ يومك بهذه الأذكار المباركة التي تعلو بها الدرجات وتُكتب لك بها الأجور العظام، وهي أذكار يسيرة على اللسان، ثقيلة في الميزان، عظيمة في الثواب:

أولاً: "سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ: عَدَدَ خَلْقِهِ، ورِضَا نَفْسِهِ، وزِنَةَ عَرْشِهِ، ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ" (ثلاث مرات).

عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: "لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ...". أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

ثانياً: "سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ...".

ثالثاً: **قول**: "سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ" (مائة مرة). قال ﷺ: "مَنْ قَالَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ حِينَ يُصْبِحُ وحِينَ يُمْسِي، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ".

وفي رواية: "غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ولَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ".[مسلم، ٤/ ٢٠٧١ برقم ٢٦٩٢.]

يقول أحد الصالحين:

عندما كنت إماماً لأحد المساجد، كانت هناك امرأة فقيرة تسأل الناس عند الباب بإلحاف، خاصة بعد صلاة الجمعة. وفي يوم، وجدتها تنتظرني وقالت بحرقة: "يا شيخ، لم يعد أحد يعطيني شيئاً، ووراءي أيتام لا كافل لهم إلا أنا!".

قلت لها: "يا أختي، هل لجأتِ إلى الله قبل أن تلجئي إلى الناس؟ عليكِ بالاستغفار، وأكثري من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وألزمي نفسك وأبناءك بذلك مع تقوى الله".

أخذت بنصيحتي، وفي الجمعة التالية: لم تأتِ، والتي بعدها أيضاً. بحثت عنها، فقال جيرانها: "سبحان الله! لقد رحلت. لزمت الاستغفار هي وأولادها، فما هي إلا أيام حتى أتاها ابن عمها، وهو رجل من أثرياء المملكة، فخطبها وتزوجها!".

تواصلت مع زوجها، فقال: "والله ما كنت أفكر فيها، حتى رأيت رؤيا في منامي تأمرني بالذهاب إليها ورعايتها. وعندما زرتها مع أمي، وجدتها ملازمة للاستغفار. وعند انصرافنا، اقترحت أمي أن أتزوجها، ففعلت، والحمد لله، انتقلت هي وأبناؤها إلى حياة جديدة بفضل لجوئها إلى الله".

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يلجؤون إلى الله قبل أن يلجؤوا إلى الناس.

هذه الأذكار لا تستغرق وقتاً طويلاً، أداؤها لا يحتاج لأكثر من دقائق معدودة، لكن فوائدها وآثارها عظيمة.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

عيد الأضحى

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الله أكبر، خلق الخلق وأحصاهم عدداً، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً. الله أكبر، ما ذكره الذاكرون، والله أكبر ما هلل المهللون، وكبّر المكبرون. الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

كبّروا الله ليبلغ تكبيركم عنان السماء، كبّروا الله فالله عظيم يستحق الثناء.

الحمد لله ولي الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ملَكَ فقهَر، وتأذّن بالزيادة لمن شكر، وتوعّد بالعذاب من جحد وكفر، تفرّد بالخلق والتدبير وكل شيء عنده بقدر. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، طاهر المظهر والمخبر، وأفضل من صلى وزكى وصام وحج واعتمر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مديداً وأكثر.

يا ربِّ صلِّ على النبي وآلِهِ *** ما أمَّتِ الزوارُ نحوكَ يثربا

يا ربِّ صلِّ على النبي وآلِهِ *** ما كوكبٌ في الجو قابلَ كوكبا

صلوا على المختارِ فهوَ شفيعكمْ *** في يومِ يبعثُ كلَّ طفلٍ أشيبا

صلوا على منْ ظللته غمامةٌ *** والجذعُ حنَّ لهُ وأفصحتِ الظبا

صلوا على منْ تدخلونَ بهديه *** دارَ السلامِ وتبلغونَ المطلبا

صلوا عليهِ وسلموا وترحموا *** تردوا به حوضَ الكرامةِ مشربا

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي المقصّرة بتقوى الله، فهي خير الزاد.

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧]

تزود من التقوى فإنك لا تدري*** إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجرِ

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً*** وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم*** وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبرِ

وكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ*** وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهرِ

اللهم أحسن ختامنا، وأصلح أحوالنا، ويسّر أمورنا، وبارك في أرزاقنا، وأصلح ذرياتنا.

أما بعد: **أيها المؤمنون، عباد الله**:

عيدكم هذا مظهر من مظاهر الأخوة الإيمانية والإسلامية، أخوة حثنا الله عليها فقال:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٢]

وروى البخاري ومسلم – واللفظ له – من حديث النعمان بن بشير ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وتَرَاحُمِهِمْ، وتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ والْحُمَّى".

إخوة الإسلام:

إن من أهداف الدين الإسلامي توحيد الأمة، وتوحيد كلمتها، وتوحيد صفها، وتوحيد تصوراتها، وتأليف القلوب وجمع الشمل على كلمة سواء. تأملوا أركان الإسلام كلها، تغرس الأخوة وتؤلف بين القلوب، من صلاة وصيام وحج وزكاة. فالمسلمون يصومون في وقت واحد، ويفطرون في ساعة واحدة، ويفرحون بالعيد في وقت واحد. والحج يجمع المسلمين في شعيرة واحدة؛ اليمني والمصري والخليجي والشامي والصيني والأمريكي والأوروبي، كلهم تجمعهم رابطة الأخوة في مكان واحد، ولباس واحد، وقبلة واحدة، وتلبية واحدة.

ما أصبحنا ضعفاء، وما تسلط علينا الأعداء، إلا يوم تفرقنا وأصبحنا متناحرين متفرقين متنازعين، والله قال: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦]

ولهذا، كان من أوائل ما فعله النبي ﷺ حين وصل المدينة ليؤسس الدولة الإسلامية: بناء المسجد، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار.

فبالدين تتوحد النفوس، وبالدين تزول الفوارق بين أبناء الوطن الواحد، وبالدين يتساوى الجميع حتى لا يفخر أحد على أحد، وبالدين تزول الضغائن، وبالدين نستطيع أن نرفع روح التسامح وروح التعايش...

لو كبرت في جموع الصين مئذنةٌ*** سمعتَ في المغرب تهليل المصلينَ

إذا اشتكى مسلمٌ في الهند أرَّقني*** وإن بكى مسلمٌ في الصين أبكاني

ومصرُ ريحانتي والشامُ نرجستي*** وفي الجزيرةِ تاريخي وعنواني

وأينما ذُكر اسم الله في بلدٍ*** عددتُ ذاك الحمى من صُلبِ أوطاني

شريعةُ الله لَمَّتْ شملنا وبنتْ *** لنا معالمَ إحسانٍ وإيمانِ

اللهم ألّف بين قلوب المسلمين، ولمّ شعثهم، ووحّد كلمتهم.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

وإن من أعظم ثمار الأخوة والمحبة في النفوس، أنها تقضي على أخطر الأمراض التي فتكت بالأمة ومزقتها، وهي: العصبية، والفرقة، والاختلاف، والتفاخر بالأحساب والأنساب. والعصبية هي أن يقف الإنسان مع عصبته (قبيلته، جماعته، حزبه) مناصراً لهم ومدافعاً عنهم حتى لو كانوا على باطل، وهذا عين الجاهلية.

العَصَبِيَّة هي أن يعتقد الإنسان أنه أفضل من غيره بسبب لونه، أو جنسه، أو قبيلته، أو نسبه، أو مذهبه، أو مهنته ووظيفته.

وهذه العصبية المقيتة ما دخلت في مجتمعٍ إلا فرَّقته، ولا في عملٍ صالحٍ إلا أفسدته، ولا في كثيرٍ إلا قلَّلته، ولا في قويٍّ إلا أضعفته.

وما نجح الشيطان في شيء مثلما نجح في إشعال نار العصبية بين الناس، فهي تهدم الألفة، وتزرع الكِبر، وتُميت روح الأخوَّة التي جاء بها الإسلام.

قال ﷺ: «دعوها فإنها منتنة» – أي العصبية الجاهلية؛ فاحذر أن تسكن قلبك أو أعمالك، فإنها طريق الانقسام والضعف والخذلان.

والله ﷻ قد بيّن أن الناس جميعاً متساوون، خُلقوا من تراب، وجعلهم شعوباً وقبائل، وجعل شرط التميز هو التقوى والقرب منه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:١٣]

أيها المؤمنون، عباد الله: لقد وقف ﷺ يخاطب هذه الأمة في خطبته في حجة الوداع، وطلب من الحاضر أن يبلغ الغائب لأن الأمر هام وعظيم، فقال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ".

[(رواه أحمد في "المسند" (٢٣٤٨٩)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢٧٠٠))].

ولو كان النسب أو المكانة تنفع صاحبها عند الله، لكان ابن نوح عليه السلام معه في الجنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود:٤٥]

ولو كان النسب ينفع، لكان أبو لهب عم النبي ﷺ في الجنة.

قال الأصمعي: بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة، إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلمِ *** يا كاشف الضر والبلوى مع السقمِ

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا *** وأنت يا حي يا قيوم لم تنمِ

أدعوك ربي حزيناً هائماً قلقاً *** فارحم بكائي بحق البيت والحرمِ

إن كان جودك لا يرجوه ذو سفهٍ *** فمن يجود على العاصين بالكرمِ

ثم بكى بكاءً شديداً وسقط مغشياً عليه. فدنوت منه، فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فرفعت رأسه في حجري وبكيت، فقطرت دمعة على خده ففتح عينيه وقال: "من هذا الذي يهجم علينا؟" قلت: "أنا الأصمعي. سيدي، ما هذا البكاء والجزع، وأنت من أهل بيت النبوة؟!" فقال: "هيهات هيهات يا أصمعي! إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً.

أليس الله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣].

من المؤلم أن تجد الرجل يقيم شعائر الدين، ويبكي من خشية الله، وفيه خير كثير، ثم تجده بعد ذلك قد ملأ قلبه بالعصبية والحقد للأشخاص، والأحزاب، والآراء، والمذاهب، والمناطق، والبلاد.

فيُحب لأجلها، ويعادي لأجلها، وفي سبيلها يقاتل.

اللهم اجعل قلوبنا ألفة على الخير، واجمع ما تفرق من أمرنا، واصلح ذات بيننا، ونجنا من فتنة العصبية والحقد.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

أيها المؤمنون، عباد الله:

هذا هو يوم عيدكم، عيد الأضحى المبارك، جعله الله للمسلمين كافة يوم فرح وعبادة وشكر، وزينة وتسامح وأخوة، وصلة رحم وبذل للمعروف. فأكثروا في هذا اليوم من ذكر الله وشكره، تهليلاً وتكبيراً وحمداً وثناءً.

أيها المؤمنون، إن من خير أعمالكم الصدقة، بها تُطفئون غضب الرب سبحانه، وبها يُدفع البلاء، وتُرفع الميتة السيئة.

يقول أحد القضاة: رجل مات، وليس له من الورثة إلا أبناء أخيه. وقد قُدرت تركته بـ٤٥٠) مليون ريال سعودي، فكان نصيب كل واحد منهم(١٥٠)مليون ريال. دعوتهم وهم لا يعرفون الأمر، فسألتهم: "هل تعرفون فلان عمكم؟" قالوا: "لا، انقطعت بنا الأواصر منذ زمن."

فقلت لهم: "ولكنه مات، وليس له ورثة إلا أنتم." فقالوا: "كان نعم، وكان رجلاً صالحاً طيباً."

فقلت لهم: "ميراث كل واحد منكم(١٥٠ مليون ريال، وبعد استلام المبلغ، هاهنا مسجد يبنى، ومن باب البر بعمكم الذي ترك لكم كل ذلك، فلو دفع كل واحد منكم مليون ريال صدقة جارية إلى نية عمكم."

فقال الأول: "أما أنا، فعلي ديون، لا أستطيع."

وقال الثاني: "أما أنا، فأريد تزويج أولادي."

وقال الثالث: "لم أهتم بعمل صالح لنفسي، فأهتم به أنا."

أيها الأحبة، أنت ماذا قدمت لنفسك؟ كم تعبت؟ كم اشتغلت؟ كم كسبت؟ وماذا قدمت لنفسك؟

إن لم تكن أنت حريصاً على نفسك، فلن يكون هناك أحد يحرص عليك. أخي، إن لم تهتم بنفسك، أنت من سيهتم بك.

أيها الناس، صلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. استقيموا على أوامر الله، وحافظوا على الصلوات الخمس جماعة في المسجد، وأدوا زكاة أموالكم، وأحسنوا تربية أبنائكم، وحسّنوا أخلاقكم، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

عباد الله: ألا فليقم كل من ضحّى إلى أضحيته، فله عند الله أجر عظيم، وأطعموا منها البائس والفقير. ومن لم يضحِّ لضيق العيش، فلا يبتئس ولا يحزن، فقد ضحى عنه وعن غيره من المسلمين رسول الله ﷺ.

أيها المسلمون، قد اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان: عيد الأضحى وعيد الأسبوع (الجمعة). وقد دلت السنة على أن من صلى العيد يوم الجمعة، رُخِّص له في ترك الجمعة ذلك اليوم، وجاز له أن يصليها ظهراً في بيته. وأما من لم يشهد العيد، فلا رخصة له في ترك الجمعة. قال ﷺ: "قَدِ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجَمِّعُونَ". [رواه أبو داود (١٠٧٣)، وصححه الألباني].

فمن لم يحضر الجمعة ممن شهد صلاة العيد، وجب عليه أن يصلي الظهر، ومن صلى الجمعة فهو خير له وأفضل وأكمل.

فهنيئاً لكم بالعيد يا أهل العيد، وأدام الله عليكم أيام الفرح، وعطّروا أفواهكم بالصلاة على محمد وعلى آله.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

ختاماً...

انتهى الجزء الثاني عشر من كتاب بستان الخطيب بعون الله وتوفيقه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب وتبلى اليد مني في التراب

فيا ليت الذي يقرأ كتابِ دعا لي بالخلاص من الحساب

اللهم أغفر للقارئ والكاتب.

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: د. أمير بن محمد المدري

D. AMEER ALMADRY

اليمن – المهرة

Almadari_١@hotmail.com

واتساب/ ٠٠٩٦٧٧٧٠٣٤٣٤٧٠